الحب المغترب والحب الأصيل
نموذجا اريك فروم
دراسة مقارنة

الدكتور: وائل علي سعيد[1]

ملخص بالعربية:

قمنا بمقارنة أنواع الحب المغترب مع الحب الأصيل على خلفية الشرط التاريخي المناسب لكل منهما، فوجدنا أن الحب المغترب يفترق ماهويا عن الحب الأصيل، وإن كان له أنواع متعددة، وأن القاسم المشترك بينها جميعا، أنها مظاهر لشخصيات عصابية، وجدنا أن الحب الأصيل يتطلب نضجًا داخليًا وقدرة على العطاء الحر دون انتظار المقابل. بينما الحب المغترب يظهر حين تكون العلاقة محاولة للهرب من الشعور بالفراغ أو الخوف من الوحدة. وانه في المجتمع الرأسمالي، يُقاس الحب بمستوى المنفعة، ويُختزل إلى صفات سطحية تؤدي إلى تشيؤ العاطفة. وأن هذا التشيؤ يفقد العلاقة عمقها الإنساني، مما يجعلها شكلية ومغتربة عن جوهر الارتباط الحقيقي. وأن الحب الأصيل وفق فروم هو تعبير عن الحرية الداخلية والمسؤولية الذاتية. بينما الحب المغترب يظهر حين يُمارس الحب كقيد أو تبعية عاطفية بدلًا من كونه اختيارًا حرًا ومسؤولًا. وأنه في الحب الأصيل، يُنظر إلى الآخر كذات حرة تستحق الاحترام والرعاية. أما في الحب المغترب، فيُنظر إلى الآخر كوسيلة لتلبية الحاجات النفسية والاجتماعية، مما يخلق علاقة غير متكافئة. وأن الحب الأصيل فعل يتطلب انفتاحًا وإنكارًا للذات في بعض الحالات. أما الحب المغترب فيتسم بالرغبة في السيطرة وامتلاك الآخر، مما يؤدي إلى علاقات غير متوازنة.

الكلمات المفتاحية

الطبع، الحب المغترب، الحب الأصيل

[1] وائل علي سعيد جامعة حمص، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، wsaed@homs-univ.edu.sy

Alienated love and authentic love: According to Erich Fromm. comparative study

Ph.D. Weal Ali Saed[2]

ABSTRACT

We compared the types of ALIENATED love with authentic love against the background of the appropriate historical condition for each of them, and we found that THE ESSENCE OF ALIENATED love separates from THAT OF authentic love, although it has multiple types, and that the common denominator among them all, that it is manifestations of Psychiatric DISORDER, and we found that authentic love requires internal maturity and the ability of free giving without waiting for the opposite. While ALIENATED love appears when the relationship is an attempt to escape the feeling of emptiness or fear of loneliness. And in the capitalist society, love is measured by the level of benefit, and it is reduced to superficial characteristics that lead to emotion. And that this thing loses the relationship its human depth, which makes it formal and ALIENATED from the essence of the real link. And that authentic love according to Fromm is an expression of internal freedom and self -responsibility. While ALIENATED love appears when love is practiced as an emotional restriction or dependency instead of being a free and responsible choice. And that in authentic love, the other is seen as a free self that deserves respect and care. As for ALIENATED love, the other is seen as a way to meet psychological and social needs, which creates an unequal relationship. And the inherent love is a verb that requires openness and self -denial in some

[2]Ph.D. Wael Ali Saed, Homs University, Faculty of Arts and Human Sciences, Department of Philosophy, wsaed@homs-univ.edu.sy

cases. As for ALIENATED love, it is characterized by the desire to control and possess the other, which leads to unbalanced relationships.

KEYWORDS
Alienated love, Authentic love, Character

مقدمة

إريك فروم (1900–1980) يجمع التحليل النفسي مع النظرية الاجتماعية لنقد الطرق التي تشكل بها الهياكل الرأسمالية العلاقات الإنسانية. يعالج اريك فروم مسألة الحب بالارتباط مع معالجته للطبع الإنساني سواء أكان الفردي أم الاجتماعي. وهو يتناول المسألتين من خلال دراسته للاغتراب الإنساني.

لذا فان هذا البحث يتناول مفهوم إريك فروم عن الاغتراب كما هو مطبق على الحب، ويضعه ضمن نقده الاجتماعي الأوسع نطاقًا للمجتمع الرأسمالي الحديث. كما يوضح كيف أن الحب يغترب من خلال التسليع والاستهلاك والسيطرة القاهرة، ويستكشف مقترحات فروم لاستعادة الحب الحقيقي الأصيل. كما ويبين البحث ارتباط الحب ببنية الطبع النفسي، سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الاجتماعي، ويتتبع الانحرافات في الطبع النفسي وانعكاس ذلك على الحب الإنساني.

إشكالية البحث وأهميته

يتناول البحث علاقة الحب، بما هو كذلك، فهل الحب علاقة سوية في جميع الأحوال؟ هل ينحرف الحب عن جادة السواء؟ كيف يتجلى الحب المغترب؟ هل يمكن المقارنة بين الحب الأصيل والحب المغترب، لتبيان ماهية كل منهما؟ وما علاقة كل منهما ببنية الطبع الفردي والاجتماعي؟ ما أنواع الحب المغترب؟ ما شروط تحقيق الحب السوي؟

وتكمن أهمية البحث في كونه يقع على تخوم الفلسفة مع علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد السياسي، حيث يقوم اريك فروم بدراسة مفهوم الحب في سيرورة اتصال الإنسان بالإنسان الآخر وهذا الاتصال الحبي يتم بصورة وثيقة من خلال السياق الاجتماعي فإذا كان هذا السياق

أصيلا كان الحب أصيلا وان كان السياق الاجتماعي مغتربا كان الحب مغتربا، كما أن دراسة اريك فروم للحب بوصفه علاقة داخلية بمعنى انه يرتبط بصميم ماهية الإنسان وبالتالي فان الطبع يكون مغتربا أو أصيلا حسب السياق الاجتماعي، وعلى هذا يعد الاغتراب المفهوم الأساس في دراسات فروم جميعا ومن خلاله قام بدراسة باقي الظواهر.

أهداف البحث وأسئلته

يهدف البحث للإجابة على تحديد ماهية الحب السوي الأصيل، وماهية الحب المغترب وتحديد علاقة كل منهما ببنية الطبع الفردي والاجتماعي، من خلال الإجابة على الأسئلة التالية، ومن ثم تطبيق هذه الدراسة على رواية مدام بوفاري لـ غوستاف فلوبير وهي من الروايات العالمية ذات الأهمية الخاصة لبحثنا. الأسئلة الفرعية:

1- ما الحب؟
2- ما الطبع؟
3- ما الاغتراب؟
4- ما الحب المغترب؟
5- ما الحب الأصيل /الإنتاجي؟
6- ما أسباب اغتراب الحب؟
7- ما شروط تحقيق الحب الأصيل؟
8- ما علاقة الشرط التاريخي باغتراب الحب وأصالته؟

فرضيات البحث وحدوده

1. يفترض البحث أن الحب الأصيل ينبثق من تحقيق الذات، بينما الحب المغترب يعكس انفصال الذات عن جوهرها.
2. يفترض البحث أن الحب المغترب نتاج مجتمع استهلاكي يرى العلاقات كسلعة قابلة للتبادل.

3. يفترض البحث أن غياب "الحرية الداخلية"[3] يُفضي إلى علاقات مغتربة تُقيّد النمو الذاتي للطرفين.
4. يفترض البحث أن الفرق بين الحب الأصيل والحب المغترب ينعكس في نمط التفاعل بين الفرد والآخر.
5. يفترض البحث أن تغلغل الثقافة النرجسية يُشوّه مفهوم الحب ويحوله من فعل إرادي إلى رغبة تماك.

مصطلحات البحث الإجرائية

الطبع character

الطبع أو الخلق في الأنا إنما "ينشأ من رواسب شحنات الموضوع المهجورة، والتي تحوي سجلا لماضي اختيارات الموضوع، كما يرى أنه بالنسبة للنسوة اللاتي لهن علاقات حبية عديدة ليس من الصعب إيجاد آثار لشحنات الموضوع القديمة في سمات خلقهن"[4]

كما يرى فروم أن فرويد أدرك "الخصيصة الدينامية لسمات الطبع، وأن بنية الطبع في الشخص تمثل شكلا خاصا تُوجَّه فيه الطاقة في سيرورة العيش"[5]

بناء على ما سبق نعرف الطبع في بحثنا، بأنه الممر الثابت نسبيا الذي تعبر خلاله الطاقة خلال عمليات التفاعل مع العالم الخارجي ومع الآخر، وتتحول إلى أفعال وسلوك.

الاغتراب alienation

ميز هيجل بين مجالين للاغتراب "هما: أ–الاغتراب الإيجابي المقبول الذي اسماه بالتخارج (تموضع) وهو تمام المعرفة بذاتها إذ أن المعرفة المطلقة تتضمن الاغتراب بقدر ما تحتوي في الآن نفسه حركة نحو التخطي ...ب– الاغتراب السلبي وهو تخارج لم يعرف ذاته ... ويضرب هيجل مثالا لهذا الاغتراب بمعناه السلبي بالحب المدفوع بما هو ميت وهو الحب القائم على السيطرة والتملك وفقدان الحرية وتقف فيه الفردية حجر عثرة"[6]

[3] هي تحرر الفرد من ضغط العقد النفسية والأفكار التسلطية التي تشكل بنية طبعه، والتي تجبره على السلوك والتفكير والانفعال بطريقة معينة دون غيرها.
[4] طه، فرج عبد القادر، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، ص189.
[5] فروم، أريك، الإنسان من اجل ذاته، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ط1، دمشق، وزارة الثقافة، 2007، ص89.
[6] طه، فرج عبد القادر، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، مرجع سابق، ص59

بناء على ما سبق نعرف في بحثنا الاغتراب بأنه حالة الإنسان، الذي لا يتعرف على نفسه، ولا على الآخرين، ولا على نواتج أعماله، ولا على عمله على أنها حقيقية، ولا الصلة التي بينه وبينها صلة حقيقية.

الحب love

يقول أفلاطون: "إن المحب يتحد بمحبوبه ويفنى فيه؛ فيصير المحب والمحبوب شخصا واحدا؛ وعلة ذلك أننا كنا أصلا كائنا واحدا، وليس الحب إلا تعبيرا عن الشوق إلى العودة إلى الأصل، ووسيلة إلى ذلك. فنحن أصلا كائن واحد أغرى ما ركب فينا من غرور زيوس أن يشطر الكائن منا شطرين كما شطر أهل اسبرطة مدينة الأركاديين شطرين"[7]

وعلى هذا نعرف الحب في بحثنا بأنه نوع من الاتصال الإيجابي العميق الذي يكشف عن علاقة التماهي بين الإنسان والآخر، لكن ليس أيّ آخر، بل آخر بعينه.

الإطار النظري والدراسات السابقة

تناول ريتشارد شاخت بالدراسة ظاهرة الاغتراب كما ظهرت عند اريك فروم فوجد تخبطا في تحديد موضوع الدراسة إذ أن فروم عالجه "كما لو كان ظاهرة واحدة، إلا أنه يستخدم هذا الاصطلاح بطرق يبلغ من تعددها حد أنه يصعب تصور ما الذي يمكن أن تكونه هذه الظاهرة"[8] هذا من جهة ومن جهة أخرى "ليس من الواضح ... في كتابات فروم عمن يتحدث، فهو في بعض الأحيان يتبنى موقفا متطرفا قوامه أن كل الناس اليوم مغتربون"[9] بمعنى أن الطبقة العاملة ليست وحدها هي المغتربة ولكن الجميع مغتربون. وينطلق فروم من هنا ليصل إلى موضع يقول فيه انه معني ببناء شخصية الفرد العادي، ولكن تلك الفكرة بدورها بالغة الغموض، لأن فروم يعتمد إلى درجة كبيرة على "انطباعاته العامة في تقرير ما هو وسطي أو نمطي، وما ليس كذلك، وبالتالي فان

---

[7] أفلاطون، **المأدبة**، تعريب وليم الميري، (لا م)، مطبعة الاعتماد بمصر، 1954، ص52 -53.

[8] شاخت، ريتشارد، **الاغتراب** ، ترجمة كامل يوسف الحسين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص174 .

[9] شاخت، مرجع سابق، ص175.

مناقشة فروم غالبا ما يميزها عدم القطع أو التحديد فيما يتعلق بمن يوصف بأنه مغترب وما الذي يغترب عنه"[10]

ويعتمد فروم في دراسة ظاهرة الاغتراب على ماركس الذي يدين له بالكثير، ويتمثل إسهام فروم في تطبيق مفهوم ماركس عن الاغتراب على الموقف المعاصر برمته، وهنا يبدو موضع الخلاف "الوحيد الذي يعترف به فروم بين موقفه وموقف ماركس ستمثل في أن الاغتراب من منظور فروم هو أكثر اتساعا في نطاقه مما كان ماركس يعتقد"[11]

وفيما يتعلق بموضوع الحب يناقشه فروم من حيث مشكلة الانفصال حيث يرى فروم أن التفرد أو وعيه بكونه كيانا منفصلا عن الآخرين، "تحدث بصورة تلقائية في غمار النمو الإنساني، فيرتبط الإنسان ابتداء من مرحلة ما قبل الوجود الفردي برفاقه بروابط تنظمها الغرائز ويعتقد فروم أن الإنسان في تلك المرحلة يفتقد أي شعور بالانفصال فوحدته مع الآخرين كاملة ومباشرة"[12] بمعنى أن الاتصال بين الناس سابق على الانفصال الذي يحدث بسبب العقل. "وبتعبير آخر فان فروم يشير إلى أن الانقسام بين الإنسان والطبيعة يمكن التغلب عليه من خلال نفس الاستخدام للعقل الذي يعتقد انه يسفر في المقام الأول عن ذلك الانقسام"[13] وشاخت يعرض كلامه في معرض الاستغراب لهذا الكلام من فروم ولا نجد صوابا في استغرابه ذاك لأن فروم يعتمد على الجدل الذي يمكن من الاستخدام المتناقض للشيء ذاته.

ويلوم شاخت فروم هنا على استخدامه مصطلح الاغتراب في تسمية ذلك الانفصال الأولي الذي حدث في انفصال الإنسان عن الطبيعة إذ أن "نمط الانفصال الذي يفترضه الحب بصورة مسبقة هو في إطار الحد الأدنى بالمقارنة بالأنماط التي يستخدم اصطلاح اغتراب يصددها عادة إلا أن فروم يقوم باستخدام الاصطلاح في هذا الصدد"[14] وهنا نجد أن الاغتراب ليس سابقا على الحب، رغم أن المحبوب غريبا عن المحب لكن في الواقع أن هذا الانفصال كان لاحقا لاتصال

[10] شاخت، مرجع سابق، ص 175.
[11] شاخت، مرجع سابق ، ص 175 -176.
[12] شاخت، مرجع سابق ، ص180.
[13] شاخت، مرجع سابق، ص .177
[14] شاخت، مرجع سابق، ص 181

سابق كان فيه الطرفين متصلين ومتحدين في حالة الغريزة الطبيعية بعبارة أخرى أن فروم يؤكد ما قاله أفلاطون أن المحبوبين في الأصل كانا كائن واحد قبل أن يشطره زيوس شطرين ثم يمضي كل شطر حياته للبحث عن شطره الآخر الأصيل ويظفر بالسعادة الأبدية بعد أن يجده[15]، إذن الوحدة سابقا أنطولوجيا على الانفصال أو الاغتراب وزمنيا أيضا. لكن نعم نتفق مع شاخت أن فروم يؤكد أن الحب علاج للاغتراب.

يؤكد حسن حماد على النقطة ذاتها وهي عدم تحديد فروم لمفهوم الاغتراب "على الرغم من أن فروم يتحدث كثيرا في مؤلفاته عن الاغتراب إلا انه لا يقدم لنا تعريفا جامعا مانعا– بلغة المناطقة لهذا التعريف– لهذا المفهوم، ولكنه غالبا ما يتحدث عن الاغتراب بشكل عام وهذا ما يضعف من جدية استخدام فروم للمصطلح"[16]

وعلى هذا فان الدراسات السابقة لم تهتم بموضوع الحب المغترب والحب الأصيل بذاتهما ولم تهتم بإبراز علاقة الحب بالطبع الإنساني المغترب أو الطبع الأصيل سواء أكان طبعا فرديا أم اجتماعيا، وقد حاولنا في بحثنا هذا، أن نتلافى هذا النقص.

منهج البحث وإجراءاته

استخدمنا في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن من أجل تحليل النصوص ومقارنتها.

عرض البحث والمناقشة والتحليل

سيرورة الاتصال

يتصل الإنسان مع أي موضوع من موضوعات العالم الخارجي من خلال طريقتين: "فيمكن أن يصل المرء نفسه به في ملموسيته الكاملة وعندئذ يظهر الموضوع بكل صفاته الخاصة المميزة، ولا يكون ثمة موضوع آخر يتماثل معه. ويمكن للمرء أن يصل نفسه بالموضوع بطريقة مجردة أي بعدم تأكيده إلا تلك الصفات المميزة التي يملكها بالاشتراك مع كل الموضوعات الأخرى من الجنس

[15] انظر أفلاطون، محاورة المأدبة، مرجع سابق ص52-53 بتصرف.

[16] حماد، حسن، الإنسان المغترب عند اريك فروم، القاهرة ، مكتبة دار الحكمة، 2005، ص 59

ذاته، فيبرز ذلك بعض الصفات ويتجاهل بعضها الآخر."[17] إذن هما طريقتين الأولى الحسية الملموسة الفردية، والثانية هي المجردة التي تعتمد على الكليات، علما أن الاتصال الكامل والإنتاجي بالموضوع يتضمن هذا التكامل بين الطريقتين في فهم الموضوع في فرادته وفي الوقت ذاته في عموميته. لكن في الثقافة الغربية المعاصرة "استسلم هذا التقاطب، للرجوع شبه الحصري إلى الخصائص المجردة للأشياء والناس ولإهمال المرء وصل نفسه بالملموسية والفرادة في الأشياء والناس"[18] وبهذا لم نعد نقوم بإنشاء مفهومات مجردة، عندما يكون ذلك ضروريا، ومفيدا، بل أصبح كل شيء يخضع لعملية التجريد، بما في ذلك نحن أنفسنا، حيث صارت الكليات المجردة تحل محل الأشخاص، مغفلة الفروق النوعية الصغيرة، لكنها أساسية في تحديد ماهية أولئك الأشخاص.

ذلك كان الاتصال من الخارج لكن فروم يعرض لنا الاتصال من الداخل من خلال بنية الطبع الإنساني وهو مستوى أكثر عمقا من الأول ولا يتناقض معه. إذ يرى فروم أن سيرورة العيش أو اتصال الإنسان بالعالم الخارجي يتم عن طريقين أو شعبتين عموديتين كبيرتين، تنقسم كل منهما مجددا إلى عدة مستويات أفقية، حيث تشكل هذه الانقسامات الأفقية لكلا الشعبتين العموديتين، جوانب مختلفة من شخصية الإنسان، أو بعبارة أدق طباع إنسانية مختلفة، وهي توضح كيف يكون الانحراف والاستواء، بالعلاقة مع الحب.

أما التشعب العمودي فهما: أولا: الاكتساب أو الاستيعاب بمعنى أخذ الأشياء وقبولها سواء أأنتجها هو بنفسه أم أنتجها أحد ما آخر، ثانيا: التشارك الاجتماعي أو علاقات الإنسان التاريخية[19]، ونلاحظ هنا أن فروم يقارب مفهوم الإنسان، من جانبين، الأول: هو الإنسان الآخذ، الثاني: هو الإنسان الآخذ والمعطي. وتنقسم كل من هاتين الشعبتين، كما قلنا، إلى عدة مستويات أفقية، إذ ينقسم الاكتساب أفقيا إلى التوجه الإنتاجي وهو العمل، والى التوجه غير الإنتاجي، وهو بدوره ينقسم إلى أربع توجهات، هي التلقفي والاستغلالي والادخاري والتسويقي[20]، أما المشاركة الاجتماعية فتنقسم

[17] فروم، اريك، المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق ، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009، ص 225

[18] فروم، المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 225

[19] انظر فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دمشق، وزارة الثقافة،2007،، ص91، بتصرف.

[20]انظر فروم ،اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص143.

إلى "التواصل التواكلي، والتدميرية الانسحابية، والمحبة."[21]ولعل الجدول التالي يساعدنا في فهم ما يقصده فروم جيدا.

الاستيعاب/الاكتساب		المشاركة الاجتماعية	
التوجه غير الإنتاجي	التلقفي (التقبل)	المازوخي /الولاء	التواكل
	الاستغلالي/الآخذ	السادي /السلطة	
	الادخاري /المحافظة	التدميري /الجزم	الانسحاب
	التسويقي /المبادلة	غير المكترث /المحايدة	
التوجه الإنتاجي	العمل	المحبة /تحكيم العقل	

تعريف الطبع الإنساني

يُعرف فروم الطبع الإنساني على أنه "الشكل الدائم نسبيا الذي توجه فيه الطاقة الإنسانية، في عمليتي الاستيعاب والمشاركة الاجتماعية. وهذا التوجيه للطاقة النفسية له وظيفة بيولوجية مهمة للغاية "[22] حيث يمكن أن نعد نظام الطبع، البديل البشري عن الجهاز الغريزي عند الحيوان. فما أن تتوجه الطاقة في طريق معين حتى تحدث الأعمال الصادقة مع الطبع. وبناء على ذلك نستطيع أن

[21]فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته، مصدر سابق ، ص140- 141.

[22]فروم، الإنسان من اجل ذاته، مصدر سابق، ص92.

نتنبأ بما سوف يفعله شخص من الأشخاص إذا عرفنا بنية طبعه، وأن نحكم على أفعاله حكما صادقا .

الطبع الاجتماعي

ما المقصود بالطبع الاجتماعي؟ "إنني أشير بهذا المفهوم إلى نويّة الطبع الاجتماعي التي يشترك فيها جل أعضاء الثقافة ذاتها، على عكس الطبع الفردي الذي يختلف فيه الناس الذين ينتمون إلى الثقافة عينها بعضهم عن بعض. وليس مفهوم الطبع الاجتماعي مفهوما إحصائيا بمعنى أنه ببساطة المجموع الكلي للخصال الموجودة في أكثرية الناس في ثقافة معينة"[23] فالطبع الاجتماعي، يقوم بتشكيل "طاقات أعضاء المجتمع بطريقة لا يكون سلوكهم مسألة قرار شعوري، فحواه هل يتبعون النموذج الاجتماعي أم لا، بل مسألة رغبة في أن يتصرفوا كما يجب عليهم أن يتصرفوا، وأن يجدوا في الوقت ذاته الرضي في التصرف وفقا لمتطلبات الثقافة"[24] وبكلمات أخرى أن وظيفة الطبع الاجتماعي هي أن يقولب الطاقة البشرية وأن يشق لها الطرقات ضمن مجتمع معين من أجل استمرار هذا المجتمع في تأدية أعماله.

على سبيل المثال لم يكن المجتمع الصناعي المعاصر قادرا على بلوغ غاياته لو لم يسخر قدرات الناس الأحرار في العمل بدرجة غير مسبوقة. حيث "تمت قولبة الإنسان في شخص تواق إلى بذل معظم طاقته من أجل غاية العمل، وقد اكتسب الانضباط ولا سيّما الانتظام والدقة في المواعيد، إلى درجة غير معروفة في معظم الثقافات الأخرى. ولم يكن كافيا أن يقرر كل فرد شعوريا في كل يوم أنه يود أن يعمل وأن يكون في الموعد المحدد... كان لا بد أن تتحول ضرورة العمل والدقة في المواعيد والانتظام إلى دافع داخلي بالنسبة إلى الأهداف"[25] وهذا يعني أنه كان على المجتمع أن ينتج الطبع الاجتماعي الذي تكون هذه المجاهدات ملازمة له.

يمضي فروم في شرح الطبع الاجتماعي من خلال المقارنة بين الطبع الاجتماعي لمجتمع القرن التاسع عشر ومجتمع القرون الوسطى حيث أدت الضرورة الاقتصادية للتنافس، ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى موقف متزايد التنافس على مستوى الطبع الإنساني. فقد

[23] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 187-188

[24] فروم فروم، المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 189-188

[25] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 189

أصبح الإنسان مدفوعا برغبة في التفوق على منافسه، متحركا بذلك في عكس "الموقف المعهود في العصر الإقطاعي– وهو أن كل امرئ لديه في النظام الاجتماعي موقفه التقليدي الذي يجب أن يكون راضيا به"[26] إذن بصورة تتعارض مع الاستقرار الاجتماعي في النظام القروسطي نشأ شكل من الحراك الاجتماعي "يتنازع فيه كل الأشخاص على أفضل المواقع ولو أنه لا يقع الخيار إلا على قلة لبلوغها. وفي هذه المزاحمة من أجل النجاح انهارت القواعد الاجتماعية والأخلاقية للتضامن الإنساني وكانت أهمية الحياة في أن يكون المرء الأول في السباق التنافسي"[27]

يسود النظام الرأسمالي سواء أكان في القرن العشرين أم في القرن التاسع عشر مبدأ استخدام الإنسان للإنسان، وهذا المبدأ موجود في كل المجتمعات الطبقية، وهذا المبدأ لا علاقة له بمسألة هل يستخدم إنسان إنسانا آخر أم يستخدم نفسه. إذ "تظل الحقيقة ذاتها وهي أن الإنسان الكائن البشري الحي يكف عن أن يكون غاية في ذاته، بل يغدو وسيلة للمصالح الاقتصادية لشخص آخر أو لنفسه أو لمارد غير شخصي هو الآلة الاقتصادية"[28]

وفي الإجمال يمكن القول إن الطبع الاجتماعي للقرن التاسع عشر في ماهيته تنافسيا ادخاريا استغلاليا تسلطيا عدوانيا فردانيا. لكنه يختلف عن الطبع الاجتماعي لمجتمع القرن العشرين إذ "بدلا من التوجه الاستغلالي والادخاري [للطبع الفردي] نجد التوجه التلقفي والتسويقي. وبدلا من التنافسية نجد الميل المتزايد إلى فريق العمل، وبدلا من الكفاح في سبيل الربح المتزايد دوما نجد الرغبة في الدخل المستقر والمأمون، وبدلا من الاستغلال نرى الميل إلى المشاركة في الثروة وانتشارها واحتيال المرء على الآخرين – وعلى نفسه، وبدلا من السلطة الصريحة سواء أكانت عقلية أم غير عقلية نجد السلطة المغفلة أو المجهولة – سلطة الرأي العام والسوق، وبدلا من الضمير الفردي نجد الحاجة إلى التوافق ونيل الاستحسان، وبدلا من الشعور بالفخر والسيادة نجد الإحساس دائم التزايد بالعجز ولو أنه لا شعوري على الأغلب"[29]

---

[26] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 190

[27] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 198

[28] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 203

[29] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 209

إذا أردنا أن نجمل ما سبق في الإجابة على سؤال، إلى أي نوع من الناس يحتاج مجتمعنا؟ أي ما هو الطبع الاجتماعي المناسب لرأسمالية القرن العشرين؟ إنه يحتاج إلى "أناس يتعاونون بسلاسة في مجموعات كبيرة أناس يريدون أن يستهلكوا أكثر فأكثر وأذواقهم موحدة القياس، ويمكن التأثير فيهم ومعالجتهم بسهولة. إنه يحتاج إلى أناس يشعرون بأنهم أحرار ومستقلون غير خاضعين لأية سلطة أو مبدأ أو ضمير ومع ذلك يريدون أن يؤمروا وأن يؤدوا ما يتوقع منهم وأن يسلكوا في الآلة الاجتماعية من دون احتكاك"[30]

الحب والطبع الفردي المغترب

كيف يتم تشكيل وصياغة طبع الإنسان الفردي؟ يرى فروم أن ذلك يتم من خلال التربية إذ أن طبع الطفل تقولبه طباع أبويه في استجابتهما لما يظهره من سلوك ومن أقوال وتصرفات، كذلك مناهجهما في تدريب الطفل على البنية الاجتماعية لثقافتهما. فالأسرة المتوسطة هي الوكالة النفسية التي تنوب عن المجتمع في صياغة الطبع الفردي للإنسان وفي "ملائمة الطفل نفسه مع أسرته يكتسب الطبع الذي يجعله يريد أن يفعل ما يجب عليه أن يفعله، والذي يشترك في صميمه مع معظم أعضاء ثقافته وطبقته الاجتماعية. وأن يكون معظم أعضاء طبقة اجتماعية أو ثقافة يشتركون في العناصر المهمة للطبع، وأن يكون المرء يستطيع أن يتحدث عن طبع اجتماعي يمثل صميم بنية الطبع المشتركة في أكثر الناس في ثقافة معينة، يظهر الحد الذي تشكل فيه النماذج الاجتماعية والثقافية الطبع"[31] ولكن ذلك لا يعني أن الناس متطابقة في طباعها، فالأشخاص متباينون في طباعهم ضمن الثقافة نفسها أو ضمن الطبع الاجتماعي العام وهذه "الفوارق ناشئة جزئيا عن اختلافات شخصيات الآباء، وعن الاختلافات النفسية والمادية للبيئة الاجتماعية الخاصة، التي يشب الطفل فيها. ولكنها ناجمة كذلك عن الفوارق التكوينية، في كل فرد ولاسيما فوارق المزاج"[32]

وسيكون عملنا في ما يلي تتبع هذه الخارطة التي عرضناها في الجدول السابق، والوقوف عند كل طبع إنساني، من أجل الوصول إلى الجواب على سؤالنا، ما الحب السوي؟ وما الحب المغترب؟

[30] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 221

[31] فروم، الإنسان من اجل ذاته، ص 93

[32] فروم، الإنسان من اجل ذاته، ص 93

أولا: نبدئ من طباع سيرورة الاكتساب، لنجد أن الطباع غير الإنتاجية كالتالي: الطبع أو التوجه التلقفي: وهنا تكون "مشكلة الحب حصرا، هي أن يكون محبوبا لا مشكلة أن يُحَب"[33] وبالتالي ينتظر أن يأتيه الحب من الخارج أي من الآخر.

الطبع أو التوجه الاستغلالي: ويتبدى بسرقة الإنسان لمحبوب شخص آخر، أو استغلال المحبوب إلى درجة فنائه، والذين ينتسبون إلى هذا الطبع "لا يميلون إلى الوقوع في هوى شخص غير مرتبط بأحد"[34]

الطبع أو التوجه الادخاري: وهو يغاير التوجهين السابقين من حيث أنهما ينتظران الخير من الخارج، بينما يعتقد الادخاري أن الخير يأتي منه هو، ولذلك فهو يكنزه أو بعبارة أوضح يعتبره ملكية خاصة، وبناء على ذلك يكون "الحب في كنهه امتلاكا، وهم لا يمنحون الحب ولكنهم يحاولون الحصول عليه بامتلاك المحبوب"[35]

الطبع أو التوجه التسويقي: وهنا يصبح الحب سطحيا من حيث العمق وفرديا جدا من حيث الامتداد، حيث تقود الصفة السطحية للعلاقة الإنسانية الناس إلى "أن يأملوا أن يستطيعوا العثور على عمق الشعور وشدته في الحب الفردي"[36]

وقبل المضي قدما لابد من تأكيد ما قلناه سابقا من أن هذه الطباع موجودة في النظام الرأسمالي لكن ليس بالتساوي لكن "بدلا من التوجه الاستغلالي والادخاري [في القرن التاسع عشر] نجد التوجه التلقفي والتسويقي"[37] في القرن العشرين.

ثانيا: في سيرورة العيش عن طريق المشاركة الاجتماعية: التواصل التواكلي: لا يمكن للمازوخي، في نظر فروم، أن يكون محبّا، لأنه لا يكون مستقلا، ضمن علاقته مع الآخر، بل يكون مبتلعا من قبله، إذ انه لا يشعر بالأمان بغير هذه الحالة، يقول فروم: "وفي التواصل التواكلي يكون الشخص متواصلا مع الآخرين. ولكنه يفقد استقلاله أو لا يصل إليه؛ إنه يتحاشى الوحدة بأن يغدو

[33] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص94.
[34] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص96.
[35] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص98.
[36] فروم، اريك، الإنسان مناجل ذاته ، مصدر سابق ،ص107.
[37] فروم، المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 209

جزءا من شخص آخر سواء بأن يكون مبلوع ذلك الشخص أم بالعه. والحالة الأولى هي ما توصف سريريا بالمازوخية"[38]

أما بالنسبة إلى السادي، فان الأمر يبقى على حاله، بمعنى انه ليس محبا، في نظر فروم، وللسبب ذاته أيضا، لكن بصورة معاكسة، إذ يكون السادي هو المبتلع للشخص الآخر، لأنه لا يشعر بالأمان بغير هذه الحالة، يقول فروم: "والدافع إلى بلع الآخرين، الشكل السادي، الموجب، من التواصل التواكلي، يظهر في كل أنواع التبريرات العقلية كالحب والإفراط في الحماية والسيطرة المسوغة والانتقام المسوغ "[39] أي أن السادية قد تلبس قناع الحب ، وخاصة إذا ادعى الطرف الأول أنه إنما يسيطر على الطرف الثاني من أجل مصلحته ومنفعته "فالتحكم في شخص آخر إذا استطاع أن يزعم أن التحكم فيه هو من أجل الشخص الثاني، كثيرا ما يبدو كتعبير عن الحب، لكن العامل الجوهري هو الاستمتاع بالهيمنة."[40]

أما فيما يتعلق بالتواصل الانسحابي، فهو كذلك على شكلين سالب وهو الابتعاد عن الآخر، وموجب وهو تدمير الآخر، ونلاحظ أن كليهما لا يحقق شرط الاستقلال أو الاحترام، فهذا الشرط يعني أن يبقى الآخر موجودا، صحيحا، معافى، بالقرب من الأنا، إلا أننا نجد في التواصل الانسحابي السالب أن المحبوب بعيد عن المحب، لأن" الانسحاب في الظاهرة الموصوفة هنا يصبح أهم شكل للاتصال بالآخرين، وهو اتصال سلبي، إن جاز القول. ومساويه الانفعالي هو الإحساس بعدم المبالاة اتجاه الآخرين، المصحوب غالبا بالإحساس التعويضي بتضخم الذات"[41]

أما في التواصل التدميري، فيكون المحبوب قريبا من المحب لكنه مُدمَر ومحطم، لأن "التدميرية هي الشكل الموجب للانسحاب و ينبع دافع المرء إلى تدمير الآخرين من خوفه من أن يدمره الآخرون"[42] كذلك نلاحظ أنهما لا يحققان شرط الرعاية والاهتمام، فالأول يترك المحبوب بعيدا وبمفرده والثاني يستغله ويستهلكه عن آخره.

---

[38] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص 140.

[39] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص 141.

[40] فروم، اريك، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.ص131.

[41] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص 140.

[42] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص 140– 141.

الحب والطبع الإنتاجي

وننتقل إلى الطبع الإنتاجي في سيرورة الاكتساب، وهو العمل، بمعنى قابلية الإنسان على أن يستعمل مَلكاته وقواه، وان يحقق إمكانياته الأصيلة، بمعزل عن تدخلات الآخرين أو عن اعتماده عليهم، فهو "يخبر نفسه بوصفه تجسيدا لقدراته وبوصفه الفاعل وأنه يشعر بأنه متحد مع قدراته وأنها في الوقت نفسه متقنّعة ومنسلخة عنه"[43]

أما عن الحب من جهة العمل أو الطبع الإنتاجي، فإن "للحب الحقيقي جذوره في الإنتاجية ولذلك يمكن على الوجه الصحيح أن يدعى الحب الإنتاجي"[44] لكن ما ماهية هذا الحب ؟ هذا ما يجيب عليه فروم بالقول إنه مؤلف من أربعة عناصر هي الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة45. أما التواصل والمشاركة الاجتماعية السوية فهي المحبة يقول فروم: "والحب هو الشكل الإنتاجي لاتصال الإنسان بالآخرين وبنفسه. انه التعبير عن الحميمية بين إنسانيين على شرط محافظة كل منهما على سلامة الآخر "[46]

وهنا نلاحظ أن الفرق بين الحب من حيث هو توجه منتج في سيرورة الاكتساب، والحب من حيث هو جانب من سيرورة التشارك الاجتماعي، غير واضح، عند فروم. ألا أننا انتبهنا إلى إشارة طفيفة في نص فروم تقول: "ويدل الاهتمام والمسؤولية على أن الحب نشاط وليس هوى يتغّلب على المرء، وليس ولعا يولع به المرء "[47] فعنصرا الرعاية والمسؤولية، وحدهما، يعبران عن النشاط والإنتاجية. وعلى ذلك نرى أن عناصر ماهية الحب الأربعة تنقسم إلى قسمين: الأول: عنصرا الرعاية والمسؤولية، ويعبران عن الحب، من حيث هو جانب في سيرورة الاكتساب أو الاستيعاب، الثاني: عنصرا الاحترام والمعرفة، ويعبران عن الحب من حيث هو جانب من سيرورة التشارك الاجتماعي.

---

[43] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص116.

[44] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص131.

[45] انظر فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص131.

[46] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق ، ص142-143.

[47] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص131.

تعريف الحب

يرى فروم أن الحب حل لمشكلة الانفصال التي يعاني منها الإنسان في كل الحضارات والعصور، يقول: " يُواجه الإنسان – في كل العصور والثقافات بحل المشكلة الوحيدة عينها: مشكلة قهر الانفصال، كيفية تحقيق الوحدة، كيفية تجاوز الإنسان لحياته الفردية ويجد كفّارته ... يمكن الحل بعبادة الحيوان أو بالتضحية الإنسانية أو بحب الله أو بحب الإنسان."[48] فالحب أحد الحلول التي يستخدمها الإنسان للتخلص من مشكلة الوحدة أو الانفصال.

ينتقل فروم إلى تحديد ماهية الحب، فيقول: "وبرغم أن موضوعات الحب تختلف، ومن ثم تختلف شدة الحب ونوعيته، فإن عناصر أساسية معينة يمكن أن يقال إنها مميزة لكل أشكال الحب الإنتاجي. وهذه العناصر هي الاهتمام والمسئولية والاحترام والمعرفة."[49] بعبارة أخرى يقول فروم بوجود أشكال من الحب، تختلف في شدتها ونوعها، ومن حيث موضوعها، مثل حب الأم لابنها، وحب الزوج لزوجته، أو حب الصديق لصديقه، أو حب الأخ لأخيه، لكنها تشترك جميعا في ماهية واحدة هي الحب، وهي تتألف من أربعة عناصر، الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة. ويمضي فروم إلى شرح هذه العناصر، فالرعاية هي:" العمل من أجل شيء وأن يجعل شيئا ينمو، وأن الحب والعمل لا ينفصلان."[50] بعبارة أوضح الرعاية هي أن ينتبه الإنسان إلى حاجات المحبوب وأن يلبي تلك الحاجات بما يسهم في نموه. وتعد المسؤولية في مقصدها الصحيح "فعل إرادي تماما، إنها استجابتي لاحتياجات إنسان آخر سواء عبّر عنها أم لم يعبّر. أن تكون مسئولا يعني أن تكون قادرا ومستعدا لأن تستجيب"[51] بقول آخر أن ينطلق المحب من تلقاء نفسه من دون أن يفرض عليه أحد ذلك، في انتباهه وتلبيته لاحتياجات المحبوب. ويشرح الاحترام بقوله: "ليس الاحترام خوفا وخشية، إنه يشير إلى القدرة على رؤية شخص كما هو وإدراك فردانيته المتفردة."[52] أي أن الاحترام يعني أن تسمح للمحبوب ولنفسك بالاستقلال ضمن الوحدة، وأن ينمو هذا المحبوب على نحو ما تكون قابلياته متجهة.

---

[48] فروم، اريك ، فن الحب، مصدر سابق ، ص30 – 31.

[49] فروم، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص131.

[50] فروم، اريك ، فن الحب ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، دار العودة، 1972، ص54– 55.

[51] فروم، اريك ، فن الحب، مصدر سابق، ص56.

[52] فروم، اريك ، فن الحب، مصدر سابق،ص56.

ويقصد بالمعرفة أنها "التي لا تتوقف عند المحيط بل تنفذ إلى اللب."[53] أي أن تعرف محبوبك لا بصفاته وأعراضه الخارجية، بل أن تعرفه بماهيته.

لقد تبيّن أن الحب عند فروم يتكون من أربعة عناصر هي الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة ، وبالبحث عن تقاطعات لهذه العناصر مع الأنماط الأكثر شهرة للحب وهي الأيروس Eros والفيليا filia والأجابيه Agape، وجدنا أن الأيروس يشترك مع الحب بعنصر المعرفة ويناقضه في عنصري الرعاية والمسؤولية، وبالانتقال إلى الفيليا نجد أنها تشترك مع الحب حسب فروم بالمساواة بين حب الذات وحب الآخر، في حين تشترك الأجابيه أو المحبة المسيحية مع الحب عند فروم بعناصر الرعاية والمسؤولية والاحترام ،من جهة ومن جهة أخرى في تلقائيته وفيضانه العفوي، وفاعليته، وعدم انتهائه، وتغاير الطرفين في الماهية، وعلى هذا تشكل دلالات الأجابيه القسم الأعظم من دلالات الحب عند فروم .

فمن حيث الفاعلية يقول فروم: " ويدل الاهتمام والمسؤولية على أن الحب نشاط وليس هوى يتغلب على المرء، وليس ولعا يولع به المرء"[54] بعبارة أوضح أن أحب لا يعني أن أغرق في أحلام اليقظة السعيدة. وهذا ما نجد له مقابلا في عمل الأجابيه أو المحب لتطوير المحبوب " ومن هنا فان الحب – في نظر المسيحية – لم يعد مجرد هوى عنيف يتخذ من الآخر واسطة أو مناسبة لزيادة إحساسه بالحياة أو تحقيق أمله في السعادة، بل أصبح اتجاها غيريا ينحو نحو الآخر، لكي يعمل على خدمته، ويسهم في تحقيق سعادته،"[55]

ومن حيث اشتراكهما في عدم الاشتراط، نجد مثالا واضحا جدا عند فروم هو اعتماده للمحبة الأمومية كمثال أساس، يقول : "والمحبة الأمومية هي المثال الأكثر تكررا والأيسر فهما من أمثلة الحب الإنتاجي ؛ فصميم ماهيتها هو الاهتمام والمسؤولية... ولا تعتمد المحبة الأمومية على شروط ينبغي للطفل أن ينجزها ليكون محبوبا ؛ فهي محبة غير مشروطة ، لا تقوم إلا على طلب

[53] فروم، اريك ، فن الحب، مصدر سابق، ص57.

[54] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق ، ص131.

[55] إبراهيم، زكريا، مشكلة الحب، مرجع سابق، ص151.

الطفل واستجابة الأم."[56] وقد مر معنا سابقا كيف تصدر الأجابيه بشكل تلقائي وعفوي دون سبب أو شرط.

وعلى هذا فإننا في إرجاعنا الحب عند فروم إلى المحبة المسيحية أو الأجابيه في جذره التاريخي أكثر من باقي أنماط الحب أي الأيروس والفيليا، نتبنى رأيا مخالفا لرأي بعض الباحثين[57]، إذ تم وضع الحب من وجهة نظر فروم في زمرة الفيليا، "وإذا كنا نجد في الصداقة عنصري الرعاية والمسؤولية اللذين سبق لنا أن التقينا بهما في بعض أشكال الحب ، فإننا سنجد فيها أيضا عنصرين آخرين قد لا يتوافران في غيرها من صور الحب، ألا وهما المعرفة والاحترام"[58]

أخيرا الحب عند فروم هو الأجابيه المسيحية، مُعَاد إنتاجها حسب الفلسفة الماركسية والتحليل النفسي وفقا للشرط التاريخي للقرن العشرين.

الاغتراب وأنواعه

متى نقول إن إنسان قد أصبح مغتربا؟ عندما "لا يخُبر نفسه على أنه مركز عالمه، وخالق أفعاله –بل على أن أفعاله وعواقبها قد صارت سادته، الذين يطيعهم ويمكن حتى أن يعبدهم"[59] كما أن الشخص المغترب بعيد عن الاتصال بنفسه، أو الاتصال بالعالم خارجه بطريقة إنتاجية. ففي "منظومة ماركس يطلق الاغتراب على ذلك الوضع الذي يكون فيه الإنسان، حين يصير عمله سلطة غريبة عنه تقف فوقه وضده بدلا من أن يحكم العمل"[60]

وبهذا المعنى، فإن الشخص العصابي هو شخص مغترب. حيث يرى فروم أن القاسم المشترك بين الكثير من الظواهر من مثل عبادة الأوثان، والحب الوثني لشخص، وعبادة الزعيم السياسي، أو تقديس الدولة، إنما هي عملية اغتراب. لأن "الإنسان لا يخبر نفسه بوصف حاملا

[56] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق ، ص132– 133.

[57] مثل الباحث الدكتور زكريا إبراهيم في كتابه مشكلة الحب.

[58] إبراهيم، زكريا، مشكلة الحب ، مرجع سابق، ص178.

[59] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 232

[60] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 232

نشيطا لقدراته وثرائه بل بوصفه شيئا معدما معتمدا على القدرات التي هي خارجه والتي اسقط عليها جوهره الحي"[61]

وإذا أردنا أن نعدد جوانب الاغتراب، لوجدنا: أولا: اغتراب الإنسان عن عمله "الذي يعمله وحسب وعن الأشياء والمسرات التي يستهلكها، بل كذلك عن القوى الاجتماعية التي تحدد مجتمعنا وحياة كل فرد يعيش فيه"[62]

ثانيا: اغتراب الإنسان عن الإنسان الآخر: فعلاقة الإنسان الحديث بأخيه الإنسان، عبارة عن "علاقة بين شيئين مجردين آلتين حيتين، تستخدم إحداهما الأخرى. فالمستخدم يستخدم الأشخاص الذين يستخدمونه، والبائع يستخدم زبُنه. وكل شخص هو بالنسبة إلى كل شخص غيره سلعة، ويعامل على الدوام بمودة معينة، لأنه إذا لم يُستخدم الآن فقد يستخدم فيما بعد"[63]وعلى هذا لا يوجد في العلاقات الحالية الكثير من الحب أو البغض. بل يوجد بالأحرى، مودة سطحية، وبهجة سطحية، ولكن خلف هذا السطح يكون الجفاء وعدم الاكتراث،. والكثير من سوء الظن الماكر.

وبسبب الاغتراب في العصر الحديث فُقدت "الروابط الاجتماعية والعامة التي كانت تميز المجتمعات القروسطية وكذلك معظم المجتمعات ما قبل الرأسمالية"[64]. وأصبح المجتمع الحديث يتألف من ذرات ... من جزئيات مغترب بعضها عن بعض، ولكنها تتماسك بفعل المصالح الأنانية وضرورة استفادة كل شخص من الآخر.

ثالثا: اغتراب الإنسان عن ذاته: فعلاقة الإنسان بذاته، ضمن التوجه التسويقي السائد في زمننا "يخبُر الإنسان نفسه بوصفه شيئا يستخدم بنجاح في السوق. وهو لا يخبُر نفسه بوصفه فاعلا نشيطا، بوصفه الحامل للقدرات الإنسانية. بل هو مغترب عن هذه القدرات، هدفه أن يبيع نفسه بنجاح في السوق"[65] إذن نستطيع أن نتحدث عن الاغتراب ليس فقط في علاقة الإنسان بالآخر وحسب "بل كذلك في علاقة المرء بنفسه حيث يكون خاضعا للعواطف غير العقلية. والشخص الذي

---

[61] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 235-236

[62] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 250

[63] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 251

[64] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 252

[65] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 254

يكون أهم ما يحرضه هو اشتهاؤه للسلطة، لا يعود يخُبر نفسه في ثراء الإنسان، وعدم محدوديته بل يغدو عبدا لمجاهدة جزئية واحدة في نفسه، تتسلط على الأهداف الخارجية وتتملكه"[66] كذلك الشخص الذي يكون المال دافعه الوحيد، يكون المال إسقاط لقدرة واحدة منعزلة في نفسه، هي جشعه في طلب المال.

رابعا: اغتراب الإنسان عن ناتج عمله: فالسلع والبضائع تنفصل عن العامل الذي أنتجها، وان تصبح تلك السلع في موقع المتحكم بهذا العامل والمعادي له.

اغتراب الحب

وطالما أن فروم يشعّب سيرورة العيش عند الإنسان إلى شعبتين الأولى اكتساب أو استيعاب، و الثانية شعبة مشاركة وجدانية، فإننا سنتتبعه خلال هذا التقسيم العمودي والذي تفرع بدوره إلى تقسيم آخر أفقي، من أجل الوصول إلى تحديد المحب.

وبالتوجه إلى سيرورة العيش بالاكتساب، فإننا سنواجه نمطين، الأول: التوجه غير المنتج، الذي يتفرع إلى أربعة توجهات، 1- التوجه التلقفي: وهنا يوضح فروم أن اهتمام التلقفي الرئيس أن يكون محبوبا، أي بعبارة أخرى التلقفي ليس محبا لأحد ولا يمكنه أن يكون كذلك، وهنا تصبح مشكلة الحب "أن يكون محبوبا لا مشكلة أن يُحِب."[67] 2- التوجه الاستغلالي: أما صاحب التوجه الاستغلالي فهمّه أن يسرق محبوب شخص آخر، لأنه لا يقدر على أن يحب شخصا غير مرتبط ، وبالتالي فانه لا يحقق شرط الاهتمام والرعاية، طالما انه لا يكترث بسعادة المحبوب الذي يريد سرقته، من جاره ربما، فهم "لا يشعرون بالانجذاب إلا إلى الناس الذين يستطيعون سلبهم من شخص غيرهم والانجذاب إليهم مشروط بارتباط شخص بشخص غيرهم ؛"[68] 3- التوجه الادخاري: وينتقل فروم إلى صاحب الاتجاه الادخاري الذي يعتبر محبوبه كنزا تعود ملكيته له، لا لأحد سواه، مما يعني انه لا يمنحه استقلاله ولا يهتم بنموه، من حيث هو، بل إذا اهتم به فلأنه قد يعود عليه بربح اكبر، لأن "الحب في كنهه امتلاك؛ وهم لا يمنحون الحب ولكنه يحاولون الحصول عليه بامتلاك

[66] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 235

[67] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص94-95 .

[68] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص96.

المحبوب."[69] 4- التوجه التسويقي: وينتقل فروم إلى التوجه التسويقي، الذي يقع على أهمية خاصة لارتباطه بالعصر الحديث، ذو نمط الإنتاج القائم على اقتصاد السوق، إذ يغترب هنا الحب عن الإنسان، وهو أمر سنفصل فيه لاحقا.

وننتقل مع فروم إلى شروح التقسيمات الأفقية للشعبة الثانية من التواصل الإنساني مع العالم الخارجي عبر المشاركة الاجتماعية، بلغة التحليل النفسي، ليبين أن التشارك الاجتماعي يتم عبر التواصل التواكلي والانسحابي والمحبة. وهنا ننتقل مع فروم لنجد أن التواكل ينقسم بدوره إلى تواكل سالب وموجب، أما التواكل السالب فهو ما يسمى بالمازوخية، وهي "محاولة المرء الهروب من ذاته الفردية، الهروب من حريته، ونشدان الأمن بربط الإنسان نفسه بشخص آخر"[70] لكن كيف يتجلى الحب في هذه الحالة وهل هو حب فعلا؟ يجيب فروم بان الشائع هنا، اعتبار الحب إنما هو نكران الذات من اجل الشخص الآخر "فالظواهر المازوكية خاصة يجري النظر إليها على أنها تعبير عن الحب. وتلقي النظرة الخاصة بإنكار الذات إنكارا تاما من اجل الشخص الآخر وتسليم الشخص حقوقه ومطالبه إلى شخص آخر، تلقى الثناء كمثال على الحب العظيم."[71] لكن هذا الحب ليس حبا حقيقيا بسبب فقدانه للمساواة والحرية "فإذا نحن قصدنا بالحب المودة العاطفية والتعلق الفعال بماهية شخص بعينه، وإذا قصدنا بالحب الاتحاد مع شخص آخر على أساس استقلال وتكامل شخصين، حينئذ تكون المازوكية والحب متضادين. يقوم الحب على المساواة والحرية. فإذا قام على التبعية وفقدان تكامل احد الطرفين، فانه يكون تبعية مازوكية بغض النظر عن مقدار عقلانية العلاقة."[72] وهذا النوع من الحب هو ما سنجده عند شخصية شارل بوفاري الزوج المخدوع في رواية مدام بوفاري المعروفة.

أما التواكل الموجب، فيسمى بالسادية، وهي الهيمنة المطلقة على شخص آخر، وفي الحب السادي نجد أن المحب يريد محبوبه أن يكون غنيا، قويا، ناجحا، لكن ثمة شيء واحد يمنعه عنه

---

[69] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ،ص98،.

[70] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص140-141.

[71] فروم، اريك، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.ص131

[72] فروم، اريك، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.ص131.

بكل قواه وهو "أن يصبح موضوعه حرا ومستقلا فيكف بذلك عن أن يكون له"[73] إننا هنا بإزاء تعلق السادي بموضوع هيمنته، إذ "يحب الشخص السادي بوضوح تام أولئك الذين يهيمن عليهم بقوته. وسواء كان هذا الشخص زوجته أو طفله أو مساعده أو نذلا أو شحاذا في الطريق، هناك شعور بالحب بل والعرفان بالجميل لموضوعات هيمنته . قد يعتقد انه يرغب في الهيمنة على حياتهم لأنه يحبهم كثيرا. وهو بالفعل يحبهم لأنه يهيمن عليهم"[74]

وإذا كان التواصل التواكلي يحوي شيئا من القرب والحميمية بدرجة ما، ولو على حساب الحرية، فان التواصل الانسحابي تعبير عن البعد عن الآخر نتيجة للخوف والعجز عن التعامل معه، وينقسم التواصل الانسحابي بدوره إلى سالب وموجب، ويعبر الانسحاب السالب عن "الإحساس بعدم المبالاة تجاه الآخرين، المصحوب غالبا بالإحساس التعويضي بتضخم الذات"[75]

أما الانسحاب الموجب فيعبر عن الاندفاع المرَضي نحو تدمير الآخر، وينطلق هذا التدمير من "خوفه من أن يدمره الآخرون"[76] وفي كتاب تشريح التدميرية البشرية يدرس فروم شخصية هتلر، زعيم النازية الألمانية، كأنموذج عن الشخصية التدميرية الخبيثة ، يقول :"ويتوافق مع نرجسيته المطلقة افتقاره المطلق إلى محبة أي شخص أو رقة قلبه نحوه أو تعاطفه معه. ولا يمكن أن يجد المرء في تاريخه الكلي شخصا يستطيع أن يدعوه صديقه"[77] أن ما نريد قوله من هذا الشاهد إن الحب، كحالة إنسانية وجدانية، غير موجود لدى الشخصيات الانسحابية بنوعيها السالب والموجب.

أنواع الحب المغترب

نميز في بحثنا بين أربعة أنواع من الحب المغترب، تماشيا مع الأنواع الأربعة لاغتراب الإنسان العامل:

[73] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص141.

[74] فروم، اريك، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.ص121.

[75] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص142.

[76] فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص 142.

[77] فروم، اريك ، تشريح التدميرية البشرية، ج 2 ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق، وزارة الثقافة ، 2006، ص203.

1- اغتراب الإنسان المحب عن ناتج حبه: والمقصود هنا أن الحب لا ينتج تطورا في شخصية المحب العاشق ولا نموا بل ينتج آلام وتشوهات في شخصيته.

2- اغتراب الإنسان المحب عن حبه: حيث ينفصل الإنسان عن صفات الحب الحقيقية ويكتسب صفات ومبادئ للحب مفروضة عليه من المجتمع، حيث يمكن من خلال قراءة الروايات والمجلات ومتابعة الأفلام السينمائية أن يكتسب الإنسان نمط من الحب له صفات ويعمل وفقا لمبادئ معينة غالبا ما تكون مثالية وغير واقعية.

3- اغتراب الإنسان المحب عن نفسه: حيث تنفصل القدرة على الحب عن الإنسان ولا يعود بإمكان الإنسان أن يتعرف على هذه القدرة أو انه قادر على أن يحب. حيث أن اغتراب القدرة يعني أنها تنفصل عن الإنسان أولا، ولا يتعرف عليها بوصفها شيئا إنسانيا ثانيا، لان تعريف الإنسان يكون قد صار على سبيل المثال، الرجل العسكري الغازي؛ بمعنى لم تعد القدرة على الحب من كيفيات أو ملكات الإنسان الفطرية أو الأصيلة، بل فقط القدرة على التدمير والإبادة، أو قد يكون اغتراب القدرة على الحب من حيث حصر وتضييق نطاق الحب على فرد واحد فقط، وهي مؤهلة أصلا لمحبة الناس جميعا، وبالتالي لن يكون حب الأصدقاء أو حب أبناء الوطن، حبا باعتبار القدرة المغتربة، إذ تتصف العلاقات بين الناس بالسطحية والتفاهة، بسبب إهمال خصوصية وفردية الشخص الذي تتم مصاحبته، والاهتمام بالعام الذي يندرج تحته، و هو ليس إلا اعتباره سلعة، "والصفة السطحية لهذه العلاقة البشرية تفضي بالكثيرين أن يأملوا أن يستطيعوا العثور على عمق الشعور وشدته في الحب الفردي. ولكن حب المرء لأحد الأشخاص وحبه لجاره لا ينفصلان؛ وفي أية ثقافة معلومة نرى انه ليس من الشائع من علاقات الحب إلا التعبير عن الاتصال بالإنسان. ومن ثم فمن الوهم أن يتوقع المرء أن عزلة الإنسان ذات الجذور في التوجه التسويقي من الممكن أن يشفيها الحب الفردي"[78] إذا كانت علاقة التسويقي بالآخر سطحية إلى درجة كبيرة كما تبين، فكيف تكون علاقة التسويقي بذاته؟ أن التسويقي صاحب أنا متضخم دائم التغير لكن من دون ذات وبالتالي من دون هوية، فمن أين يستمد هويته؟ "وأزمة الهوية في المجتمع الحديث ناتجة في الحقيقة من أن أعضاء هذا المجتمع قد أصبحوا أدوات بلا ذوات، يستمدون (هويتهم) فحسب من العمل في إحدى الشركات

[78]فروم ، اريك، الإنسان من اجل ذاته ، مصدر سابق، ص106-107.

الكبيرة (وغيرها من المؤسسات البيروقراطية العملاقة) وحيث لا توجد ذات حقيقية يستحيل وجود هوية..."[79]

4- اغتراب الإنسان المحب عن الآخر: حيث ينفصل الإنسان عن الإنسان الآخر ولا يتعرف عليه على انه موضوع لمحبته أو انه شريكه المحتمل في علاقة الحب. وهو اغتراب المحبوب، حيث يفرض المحبوب فرضا على الإنسان عندما يتوجب أن يحب جميع الناس، شخصا تروج مواصفاته في وسائلا الإعلام والسينما[80]. وعلى هذا فالحب الفردي الذي يروج له في الغرب، موطن اقتصاد السوق ، حب مغترب لأنه يحقق شرطي الاغتراب، فمواصفات الحبيب مفروضة من قبل الآلة الإعلامية الجبارة ، والقدرة على الحب مقصورة على فرد واحد ، أي ليس للمرء أن يحب أخاه في الإنسانية.

هذه كانت الأجناس الكبرى التي تحتوي على أنواع فرعية حسب السياق الاجتماعي الذي يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر، وفيما سيلي سنستعرض تجليات بعض هذه الأجناس حسب السياق الاجتماعي. حيث يضع فروم عدة أنماط أو أنواع للحب المغترب، هي الحب الأعمى والحب العاطفي والحب الإسقاطي. نتناولها بالدراسة هنا بالتفصيل.

الحب الكبير /الأعمى

يرى فروم أن هذا الشكل من الحب الزائف ليس نادرا، بل غالبا ما يعاش ويعرض ويوصف في الأفلام والروايات، على أنه الحب الكبير هو "الحب الأعمى حين يكون الشخص دون مستوى الشعور بالذاتية، بالأبنية المغروسة في التكشف المنتج لقواه فإنه يميل إلى تأليه الشخص المحبوب تأليها أعمى، إنه يغترب عن قواه ويصبها في الشخص المحبوب "[81]وهو في هذه العملية إنما يسلب نفسه كل معنى بالقوة، ويفقد نفسه في الشخص المحبوب بدل أن يجد نفسه.

دراسة الحب الأعمى من حيث هو حب مغترب

1- من حيث الاغتراب عن الذات: يظهر بوضوح حين يفقد الشخص ذاته تماما، ويعيش فقط من خلال الآخر، وكأن وجوده مرهون بوجود الحبيب. ومع انصهار المحبّ في وهمه، يفقد وعيه الذاتيّ:

[79] فروم ، أريك، الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد ظهران ، الكويت، عالم المعرفة ، عدد 140، 1989، ص158.

[80] كما هو الحال بالنسبة إلى لعبة باربي ، التي تروج في أمريكا وأوربا، حيث أنها تمثل مواصفات الأنثى التي يجب أن تُحب.

[81] فروم، فن الحب، مصدر سابق، ص 89

فلا يفرق بين احتياجاته الحقيقية ويقينه الزائف. مما يؤدي إلى تلاشي الفرق بين الذات والحُلم، مما يجعل المحبّ غريبًا عن دوافعه الداخلية. لذلك، يتضمن الحب الأعمى اغترابا ذاتيا.

2- من حيث الاغتراب عن الآخر: الآخر يُحوّل إلى "موضوع عبادة" أو "ملاذ"، دون فهم حقيقي له كإنسان له تعقيداته. ففي الحب الأعمى، لا يُرى المحبوب كما هو، بل كحامل لصورة مثالية مسقطة من المتخيل. فالمتخيل يزيح "الآخر الحقيقي" ويستبدله بمُنقِذٍ، أو فارس رومانسي، أو ملاذ نفسي. وهذا يعد جوهر الاغتراب عن الآخر فالحب الأعمى يقطع صلة المعرفة الحقيقية بالشريك.

3- من حيث الاغتراب عن الحب: الحب يُفهم كحالة خارجة عن السيطرة، كأنه قوة غامضة، مما يلغي مسؤولية الفرد فيه. إن فروم يرى أن الحب الحقيقي فعل واعٍ وناضج، أما الحب الأعمى فهو انفعاليٌّ، بعيدٌ عن عناصر النضج: المعرفة والرعاية والاحترام. لذلك الحب الأعمى يبتعد عن صفة الحب بذاته، ويصبح حالة هروبٍ أو تملكٍ، لا تواصل إنسانيًّا حقيقا. وهذا هو الاغتراب عن الحب بمعناه الأصليّ.

4- من حيث الاغتراب عن نواتج الحب: النتيجة غالبًا تكون التبعية أو الانهيار، لأن الحب لم يُبنى على أسس ناضجة. فالحب الأعمى ينتهي دومًا بخيبة أمل، وإحساس بالفراغ أو التبعية. المتخيل يقود العلاقة إلى مآلها الكارثيّ، فيُغيّب أي ثمارٍ إيجابية مثل التكامل، والنمو، والمساندة.

الخلاصة: الحب الأعمى عند فروم أقرب ما يكون إلى الاغتراب عن الآخر، لأنه يسلب المحبّ القدرة على إدراك الإنسان الحقيقي أمامه. لكنه لا يقتصر على ذلك: إذ يتداخل فيه الاغتراب عن الذات وعن الحب ذاته، فتتحول العاطفة إلى وهمٍ ينتهي دومًا بخيبة الأمل (الاغتراب عن نواتج الحب).

دراسة الحب الأعمى من حيث سيرورة المشاركة الاجتماعية

وفقًا لتحليل فروم في الهروب من الحرية، هناك علاقة وثيقة بين الحب الأعمى وبعض الديناميكيات النفسية مثل السادية والمازوخية، لكن ليس بشكل مباشر أو دائم.

1- الحب الأعمى والمازوخية: الحب الأعمى غالبًا ما يتضمن خضوعًا غير واعٍ للطرف الآخر، حيث يُنظر إليه كمنقذ أو ككائن مثالي. هذا النوع من الحب قد يتوافق مع المازوخية النفسية، حين يُلغي الفرد ذاته، ويذوب في الآخر، ويقبل الإهانة أو التبعية باسم الحب. فروم يرى أن هذا الشكل

من العلاقة هو هروب من الحرية، حيث يفضّل الفرد أن يُقاد بدلًا من أن يتحمل مسؤولية ذاته. إذًا: الحب الأعمى يتوافق غالبًا مع المازوخية، خاصة حين يكون مدفوعًا بالخوف من الوحدة أو من الحرية الفردية.

2- الحب الأعمى والسادية: في بعض الحالات، قد يتحول الحب الأعمى إلى سادية ناعمة، حين يسعى الفرد إلى السيطرة على الآخر بدافع الخوف من فقدانه. لكن فروم يميز بين الحب الحقيقي الذي يقوم على الاحترام، وبين الحب السادي الذي يسعى إلى التملك والإخضاع. السادية في الحب الأعمى تظهر عندما يُحوّل الشخص الآخر إلى موضوع للسيطرة، لا شريكًا متكافئًا. لكن هذا أقل شيوعًا من المازوخية، لأن الحب الأعمى غالبًا ما يُبنى على الذوبان في الآخر لا السيطرة عليه.

3- النزعة التدميرية: الحب الأعمى يفضي في كثير من الأحيان إلى تدمير العلاقة الذاتية والاجتماعية: خيبات أمل متكررة، انهيار الثقة، خسارة الذات. لكن التدمير هنا هو نتيجة الحب الأعمى لا صفةً منه، فهو انعكاسٌ لأزمة الخضوع والإسقاط، وليس دافعًا أوليًا.

4- عدم الاكتراث: الحب الأعمى عكس تمامًا عدم الاكتراث؛ فهو مبنٍ على هوسٍ وانسياقٍ انفعاليٍّ شديد. إن افتقاد المحبّ لوعي المسؤولية لا يعني بروده، بل هشاشة تائقة لعناق المجهول.

خلاصة : الحب الأعمى عند فروم يتوافق أكثر مع المازوخية النفسية، لأنه يقوم على خضوع غير واعٍ، وإلغاء الذات أمام الآخر. أما السادية، فقد تظهر في حالات معينة، لكنها ليست السمة الأساسية للحب الأعمى. كآثار ثانوية أو نتيجة، هي والتوجه التدميري، بينما لا يتقاطع أبدًا مع مفهوم عدم الاكتراث.

دراسة الحب الأعمى من حيث سيرورة الاستيعاب

1- الحب الأعمى والتوجه التلقفي: المحبّ في هذا التوجه يرى أنّ الحبّ خيرٌ يُؤتى به من الخارج، فينتظر دومًا أن يُمنح دون أن يُعطي أو يبذل مجهودًا حقيقيا. ويتسم الحب الأعمى بخضوع المحبّ وانصهاره في صورة مثالية للآخر، واعتماده على "سماحه" له بأن يُحبّ. هنا يختفي شعور المسؤولية والرعاية، ويغدو الحبّ فعلًا سلبيًا منتظرًا، ما يطابق تمامًا التوجه التلقفي.

2- الحب الأعمى والتوجه الاستغلالي: يقوم التوجه الاستغلالي على اعتقاد أنّه يجب أخذ ما يريده بالقوّة أو المناورة، عبر السيطرة على الآخر وإخضاعه. لكن الحب الأعمى لا ينطوي أساسًا على

رغبة المحبّ في الاستحواذ بالقوّة أو التلاعب، بل على فقدان القدرة على رؤية الآخر حقًا. لذلك، التوجه الاستغلالي لا يتفق مع طبيعة الحب الأعمى عند فروم.

3- الحب الأعمى والتوجه الادخاري: يتجلّى التوجه الادخاري في حفظ المشاعر والموارد وتجميعها وتخزينها باعتدال، والخوف من الفقدان. لكن الحب الأعمى على عكس الادخار، فهو تدفّق انفعالي متهور، لا يحفظ أو يوزع الحبّ بحكمة، بل يندفع نحو الهوس وتضخيم الخيالات. وبهذا، يتناقض مع أسلوب الادخار والانضباط العاطفي.

4- الحب الأعمى والتوجه التسويقي: يُنظر في التوجه التسويقي إلى الذات والآخر كسلعٍ تُعرَض في سوق علاقات، فتُقاس القيمة بعوامل عرض وطلب. لكن الحب الأعمى يتجاوز حسابات "السعر" و"المنفعة"، فهو استسلام انفعالي للخيال، لا صفقة تُعقَد. هناك افتقاد للمقاييس السوقية، ما يبعده عن صفة التسويقية.

خلاصة: الحب الأعمى عند فروم أكثر توافقًا مع التوجه التلقفي، إذ يبني المحبّ علاقته على خضوع وانتظار ما يجود به الآخر، ويفتقر إلى مسلّمات الحب الناضج من معرفة ومسؤولية واحترام متبادل.

الحب العاطفي

يرى فروم أن النمط الثاني للحب المغترب هو الحب العاطفي و"تكمن ماهيته في أن الحب لا يعاش إلا في علاقة خيالية شاطحة، وليس في علاقة واقعية، هنا والآن بشخص آخر يكون حقيقيا. وأكبر شكل منتشر من هذا النوع من الحب، هو الذي نجده في إشباع الحب البديلي الذي يعيشه مستهلك الشاشة السينمائية والمجلات، التي تنشر قصص الحب وأغاني الحب. فجميع الرغبات الغير منجزة للحب، والاتحاد والقربى تجد إشباعها في استهلاك هذه المنتجات"[82] ويعرض فروم سيناريوهات متعددة للحب العاطفي مثلا هناك "جانب آخر للحب العاطفي هو عملية تجريد الحب في إطار الزمن. فيمكن لقرينين أن يتأثرا للغاية بذكريات حبهما الماضي، بالرغم من انه إذا مَثُل هذا الماضي فلا حب هناك يعاش- أو خيالات حبهما المستقبلي"[83]

[82] فروم، فن الحب، مصدر سابق، ص89

[83] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص90

دراسة الحب العاطفي من حيث هو حب مغترب:

1- من حيث الاغتراب عن الذات: يحدث عندما يذوب الفرد في الآخر، ويضحي بهويته الخاصة من أجل العلاقة. وبالمقارنة نجد أن المحب قد يذوب في مشاعره، فيغيب وعيه باحتياجاته الحقيقية. لذ أن فان الاغتراب عن الذات ظاهر، وان كان بدرجة متوسطة.

2- من حيث الاغتراب عن الآخر: رغم الانجذاب، لا يُرى الآخر ككائن مستقل، بل كوسيلة لإشباع الاحتياجات الذاتية. وعلى هذا يكون الاغتراب عن الآخر ظاهرا لان المحبوب يُنظر إليه ككائن لإشباع الرغبات لا كذات مستقلة.

3- من حيث الاغتراب عن الحب: هنا، الحب يتحول إلى حالة انفعالية مؤقتة، وليس ممارسة واعية أو التزامًا. وبالمقارنة نجد انه ظاهر هنا، لان الانفعالية تحلّ محل الحب الناضج، فيفقد الحب جوهره المتمثل بالمعرفة والرعاية.

4- من حيث الاغتراب عن نواتج الحب: العلاقة قد تؤدي إلى ألم أو تدمير، بدلًا من النمو والتكامل. وهذا النوع من الاغتراب ظاهر في الحب العاطفي لان النتيجة غالبًا خيبة للأمل أو استنزاف عاطفي بدلًا من نمو وتكامل.

الحب العاطفي عند فروم يتوافق بالدرجة الأولى مع الاغتراب عن الآخر: لأنه مبنٍ على استهلاك المشاعر لا على معرفة حقيقية. والاغتراب عن الحب: لأنه يفتقد لعنصر الرعاية والمسؤولية، فتغدو العلاقة انفعالية فقط. والاغتراب عن نواتج الحب: لأن نتائجها خيبة وخسارة بدل من بناء ونمو. ويظهر فيه أيضًا جانب من الاغتراب عن الذات حين يطغى الانفعال اللحظي على الوعي بالذات واحتياجاتها. بهذا يتجلى الحب العاطفي كشكل من أشكال الحب المغترب المشوَّه، لا كحب ناضج يُخرج الإنسان من اغترابه، بل يغرقه فيه.

دراسة الحب العاطفي من حيث سيرورة المشاركة الاجتماعية

1- المازوخية في الحب العاطفي: قد يقدّم المحب تنازلاتٍ وحالاتِ تضحيةٍ مفرطة سعياً لإرضاء الآخر أو للهروب من الوحدة. لكنّ هذه التضحية ليست إدماناً على الألم أو استمتاعاً به كما في المازوخية الصرفة. لذا، ثمة تقاطع متوسط الدرجة في الميل للانغماس العاطفي، لكن الحب العاطفي لا يتحوّل عادةً إلى ميول مازوخية مَرَضيَّة.

2- السادية في الحب العاطفي: السادية تعبّر عن متعة السيطرة أو إلحاق الألم بالآخر. والحب العاطفي يفتقر لهذه الرغبة في إخضاع الشريك أو إذلاله. ولا يتفق مع السادية؛ فالعاطفة هنا قائمة على الانجذاب والاشتياق لا على التحكم والإيذاء.

3- التدميرية في الحب العاطفي: التدميرية تنتج عن رغبةٍ في تحطيم الذات أو العلاقة عمداً. الحب العاطفي قد ينتهي أحياناً بخيبات أمل أو انفصال مؤلم، لكن نادرًا ما يكون مصحوباً بدافع تدميري واعٍ. لذا يختلف الحب العاطفي عن النزعة التدميرية؛ فالشغف لا يستلزم سعيًا لهدم العلاقة.

4- عدم الاكتراث والحب العاطفي: عدم الاكتراث يتمثل بالبرود العاطفي واللامبالاة. والحب العاطفي أقصى ما يكون على العكس من ذلك، فهو غارقٌ في الاهتمام والاشتياق. لذا لا يتفق الحب لعاطفي مع برودة الانفعال أو الانفصال الوجدانِي.

الخلاصة: الحب العاطفي عند فروم لا ينضوي على سادية أو نزعة تدميرية أو برودٍ وجدانِيٍّ. قد يحمل لمحاتٍ من التضحية والانغماس تذكر بالمازوخية، لكنّه يبقى حبًا انفعاليًا بحتًا، لا مرضيًا.

دراسة الحب العاطفي من حيث سيرورة الاكتساب / الاستيعاب

1- التوجه التلقفي والحب العاطفي: يقوم التوجه التلقفي على انتظار المحبّ للحب والرعاية كمنّة تُمنح له، بلا مساهمة واعية أو توازن في العطاء والأخذ. والحب العاطفي عند فروم ينطوي على شوق المحب لاستقبال انفعالات ومتعة الحب، دون بناء واعٍ للعلاقة. لذا يتوافق الحب العاطفي أساساً مع التوجه التلقفي، حيث يبقى المحبّ في موقع المتلقّي المنتظر، لا الفاعل المسئول.

2- الحب العاطفي والتوجه الاستغلالي: يقوم التوجه الاستغلالي على اعتقاد أنّه يجب أخذ ما يريده بالقوّة أو المناورة، عبر السيطرة على الآخر وإخضاعه. لكن الحب العاطفي بعيد تماما عن رغبة المحبّ في الاستيلاء بالقوّة، لذلك، التوجه الاستغلالي لا يتفق مع طبيعة الحب العاطفي عند فروم.

3- الحب العاطفي والتوجه الادخاري: كما قلنا يتجلّى التوجه الادخاري في حفظ المشاعر والموارد وتجميعها وتخزينها باعتدال، والخوف من الفقدان. لكن الحب العاطفي على النقيض من التوجه الادخاري، لأنه لا يسعى للتوفير في عواطفه.

4- الحب العاطفي والتوجه التسويقي: يُنظر في التوجه التسويقي إلى الذات والآخر كسلعٍ تُعرَض في سوق علاقات، فتُقاس القيمة بعوامل عرض وطلب. لكن الحب العاطفي لا يتماشى مع حسابات "المنفعة"، فهو يندفع في خيالاته من دون حساب، الأمر الذي يبعده عن التوجه التسويقي

الحب الإسقاطي

أخيرا يعرض فروم شكلا من أشكال الحب العصابي يكمن في "استخدام الآليات الإسقاطية بهدف تجنب مشكلات الفرد، ويكون معنيا بدلا من هذا بنواقص وزلات الشخص المحبوب . ...هم دائما مشغولون بمحاولة اتهام أو إصلاح الشخص الآخر. فإذا فعل هذا شخصان -كما هو الحال غالبا- فان علاقة الحب تتحول إلى علاقة إسقاط متبادل. إذا كنت مهيمنا أو غير حاسم أو شره فاني أتهم شريكي بهذا وأنا باعتمادي على شخصي إما أنني أريد أن أشفيه أو أن أعاقبه."[84] وهو من أقل أنماط الحب شيوعا في المجتمع الحديث، لسرعة انقطاع العلاقة بين الطرفين.

آليات الاغتراب

كيف يتحقق الاغتراب في المجتمع الإنساني؟ وما هي آليات ذلك؟

أولا: السلطة المجهولة ـ التماثل

من خلال الاستعراض التاريخي وجد فروم أن السلطة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بجانبيها العقلية وغير العقلية، كانت معلومة ولم تكن مجهولة فالإنسان يعرف من يأمر وينهي سواء أكان الملك أم الإقطاعي أم الأب أو رب العمل[85]وهذا كان له منعكس ايجابي على الذات الإنسانية كما سنرى.

لكن السلطة في "منتصف القرن العشرين بدلت صفتها المميزة، فهي ليست سلطة معلومة بل سلطة مجهولة، غير مرئية، اغترابية"[86]حيث لا توجد مطالبة من أحد ولا من شخص ولا من فكرة ولا قانون أخلاقي. ومع ذلك فالناس جميعا تمتثل وتعمل بمقتضى الأمر كما هو عادة الناس في مجتمع تسلطي فماذا تكون هذه السلطة؟ إنها الربح والضرورات الاقتصادية للسوق والرأي العام.

---

[84] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص90-91

[85] انظر فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 266

[86] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 266

أما عن مردود معرفة الإنسان للسلطة فهو يظهر من أنه "ما دامت السلطة المعلومة قد وجدت، فقد وجد النزاع ووجد التمرد –على السلطة غير العقلية. ففي نزاع المرء مع أوامر ضميره وفي الصراع مع السلطة غير العقلية كانت الشخصية تنمو وخصوصا كان ينمو الإحساس بالذات"[87] بينما إذا كانت تحكمني سلطة مجهولة فأنني افقد الإحساس بالذات وأصير جزءا من القطيع. و"الآلية التي من خلالها تعمل السلطة المجهولة هي التماثل. فينبغي لي أن افعل ما يفعله كل شخص ومن ثم عليَّ أن أتماثل لا أن أكون مختلفا"[88]

ثانيا: مبدأ عدم الإحباط

يعد فروم السلطة المجهولة والتماثل الآلي، إلى حد كبير نتيجة لنمط الإنتاج الرأسمالي، الذي يستوجب التكيف السريع مع الآلة، والسلوك الجماهيري المنضبط والذوق العام والطاعة، من دون استخدام القوة. في حين أن الوجه الآخر لهذا النمط من الإنتاج هو "الحاجة إلى الاستهلاك على نطاق واسع، قد كان وسيليا في خلقه ملمحا في الطبع الاجتماعي للإنسان الحديث يشكل أحد اشد التباينات حدة مع الطبع الاجتماعي في القرن التاسع عشر وأنا أشير إلى المبدأ القائل بان كل رغبة يجب إشباعها على الفور ولا يجوز إحباط أية رغبة"[89]

لكن ما نتيجة ذلك على الذات الإنسانية؟ أن عدم كف الرغائب هذا، يؤدي إلى النتيجة ذاتها التي أدى إليها انعدام السلطة الصريحة وهي "شلل الذات، وفي مآل الأمر هلاكها. فإذا لم أرجئ إشباع رغبتي (وأنا مشروط بألا أرغب إلا فيما أستطيع الحصول عليه) فلن تكون لدي منازعات ولا شكوك ولا قرار يجب اتخاذه"[90]فهذه المنازعات والشكوك والقرار إنما تفضي في نهاية المطاف للوصول إلى ذات أصيلة.

[87] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 267
[88]فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 267
[89] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 279
[90] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 281

ثالثا: التداعي الحر والكلام الحر

وذلك من خلال الفضفضة في الكلام أو التداعي الحر كما أسماها فرويد، فتكون نتيجته تفريغ التوتر، الذي ينجم عن الإفضاء بأمور خاصة بحضور مستمع متعاطف. إذ أن أفكار الإنسان قد تزعجه ما دام يحتفظ بها في نفسه، ولكن قد ينتج عن هذا الإزعاج شيء مثمر، إذ عندما يقلب المرء الرأي حولها، ويفكر ويشعر، قد يصل إلى فكرة جديدة تولد من هذا العناء. ولكنك "عندما تتكلم بها على الفور، عندما لا تسمح لأفكارك ومشاعرك أن تنشئ ضغطا إذا جاز القول فإنها لا تغدو مثمرة. فأنت نظام تذهب فيه الأشياء إلى الداخل والخارج باستمرار – ولا شيء في الداخل لا توتر ولا هضم ولا ذات"[91]

رابعا: العقل

أفرز هذا العصر عقلا جديدا يتطابق مع الذكاء، ففي حين "يقتضي العقل التواصل والإحساس بالذات"[92] فان الذكاء مجرد متلق سلبي للانطباعات والأفكار والآراء، إذ يمكنه أن يقارن بينها وان يستخدمها ببراعة لكنه لا يستطيع أن يخترقها. وقد "استنبط ديكارت وجود ذاتي بوصفي فردا من حقيقة أنني أفكر. وكانت محاججته هي أنني اشك ومن ثم فنا أفكر وأفكر إذن إنا موجود والعكس صحيح فأنا لا أستطيع أن أفكر أي أن استفيد من عقلي إلا إذا كنت أنا، أي إذا لم أفقد فرديتي فيما لا يعقل"[93]

خامسا: العمل

ما دور العمل في اغتراب الإنسان وفي وصوله إلى ذاته الأصيلة؟ أن العمل هو المحرر للإنسان من الطبيعة وهو من أوجده بوصفه كائنا اجتماعيا ومستقلا. ففي سيرورة العمل، يقوم الإنسان بسبك الطبيعة التي هي خارج نفسه وتحويلها، وهو في الوقت نفسه إنما يقوم بسبك نفسه وتحويلها. "انه يخرج من الطبيعة بالسيطرة عليها، وهو ينمي قدراته على التعاون والعقل وإحساسه بالجمال"[94] وإذا استعرضنا مهارة العامل في عمله لوجدنا أن المهارة في الصنعة كما ظهرت في

[91] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 283
[92] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 286
[93] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 286
[94] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 294

التاريخ الغربي ولا سيما كما ظهرت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر "تشكل إحدى ذرى التطور في العمل الإبداعي. فلم يكن العمل مجرد نشاط نافع بل كان عملا حمل معه إرضاء عميقا"[95] في حين في العصر الحديث فان "العمل بدلا من أن يكون في ذاته مرضيا وسارا قد أصبح واجبا وهاجسا"[96] لكن العمل بهذا المعنى لا يوجد إلا بالنسبة إلى الطبقتين العليا والوسطى اللتين يمكنهما تجميع المال واستخدام عمل الآخرين. "أما الأكثرية العظمى التي ليس لديها ما تبيعه إلا جهدها فقد أصبح العمل عندها ليس إلا جهدا جبريا. ... وتجد القرون الأولى من العصر الحديث معنى العمل موزعا بين معنى الواجب عند الطبقة الوسطى ومعنى الجهد الجبري عند الذين ليست لديهم ملكية"[97] وهذا الاغتراب في العمل أدى إلى نتيجتين "احدهما هو مثال الكسل التام، والآخر هو العداء عميق المستقر وان يكن لا شعوريا في جلّ الأحايين للعمل ولكل شيء وكل شخص يرتبط به"[98]

سادسا: الديمقراطية

يرى فروم أن النظام الديمقراطي نفسه قد أصبح مغتربا وواحدا من آليات اغتراب الإنسان في العصر الحديث فالديمقراطية كما في التعريف الذي اعتمده فروم نقلا عن شومبيتر الذي وضعه على أساس تحليله فقط يقول "أن النهج الديمقراطي هو التدبير الذي يجري على سنة متبعة للوصول إلى القرارات السياسية التي يحظى فيها أفراد بسلطة القرار بوساطة الصراع التنافسي على تصويت الشعب"[99] فالناس تقوم بالتصويت بناء على الحملة الانتخابية التي تجري وفقا لقوانين أي حملة دعائية لأي منتج أو سلعة ولا فرق نوعي بين الأمرين، وهذا يتم في ظل غياب اهتمام حقيقي من الناس بمجريات الشأن السياسي، فيكون تصويتهم اغلب بمزايدة تجارية يفوز بها السياسي /التاجر الأعلى أصوات /سعرا.

[95] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 295
[96] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 295
[97] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 296
[98] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 299
[99] فروم المجتمع السوي، مصدر سابق، ص 307

شروط تحقيق الحب الأصيل

باعتبار أن الحب عند فروم فن، فهو يجمع بين العلم والممارسة، ولتعلم ممارسة الحب بشكلها الصحيح المتوافق مع العلم، لابد من مجموعة شروط :

1- النظام : "أولا وقبل كل شيء، تتطلب ممارسة الفن **النظام**، لن أفلح في أي شيء إذا لم أفعله بطريقة منظمة"[100] إذ إن أي شيء لا يفعله الإنسان إلا بشكل مزاجي، قد يكون هواية جميلة مسلية، لكنه لن يصبح إطلاقا سيدا في ذلك الفن.

2- التركيز: هذا "**التركيز** هو شرط ضروري للسيطرة على الفن، ولا يحتاج هذا إلى دليل، فان أي شخص قد حاول مرة أن يتعلم فنا من الفنون يعرف هذا"[101] خاصة إذا عرفنا أن حضارتنا تفضي إلى نمط للحياة لا تركيز فيه، بشكل لا نجد له مثيلا في أية حضارة أخرى. فالإنسان يفعل عدة أشياء في وقت واحد، فهو يقرا وينصت إلى الراديو ويتكلم ويدخن ويأكل ويشرب، في وقت واحد. انه المستهلك ذو الفم المفتوح المستعد لابتلاع كل شيء. لكن لما التركيز مهم؟ لأن "القدرة على التركيز تعني القدرة على الوحدة مع النفس –وهذه القدرة هي شرط دقيق للقدرة على الحب"[102]بمعنى أن يحتمل الإنسان العيش مع نفسه وحيدا، فيستمع لها ولحاجاتها ولأفكارها الحقيقية من جهة ومن جهة أخرى "التركيز يعني العيش تماما في الحاضر في الهنا والآن وعدم التفكير في الشيء التالي الذي يجب أن يفعل بينما أنا افعل شيئا حقا الآن"[103] فلا تتشتت قدراتك ولا تتبعثر مجهوداتك.

3- الصبر: إن العامل الثالث لتعلم الفن "هو **الصبر**. ومرة أخرى نقول إن أي شخص يحاول أن يسيطر على فن من الفنون يعرف أن الصبر ضروري إذا كان يريد تحقيق شي"[104]

4- الأهمية : لابد أن يكون هذا الفن عند الإنسان ذو أهمية قصوى فشرط تعلم أي فن هو الاهتمام الأقصى، لإحراز السيادة في هذا الفن. فـ"إذا لم يكون الفن ذو **أهمية قصوى** فان الشخص موضع التعلم لن يتعلم شيئا. سيظل هاويا ولكنه لن يصبح أستاذا"[105]

---

[100] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص97

[101] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص98

[102] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص101

[103] فروم، فن الحب، مصدر سابق، ص103

[104] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص98

[105] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص 99

5- غير المباشرة: وهي سمة قد تكون غريبة لبعض الناس فـ"الإنسان لا يبدأ بتعلم الفن مباشرة، ولكن بشكل غير مباشر، كما هو الواقع-على الإنسان أن يتعلم عددا كبيرا من الأشياء الأخرى- التي لا تبدو مرتبطة في اغلب الأحيان - قبل أن يشرع في الفن نفسه"[106]

تلك كانت الشروط العامة لتعلم أي فن من الفنون، أما الآن فنستعرض الشروط الخاصة لتعلم فن الحب.

6- التخلص من النرجسية: "الشرط الرئيسي لتحقيق الحب هو قهر ما لدى الإنسان من **نرجسية** "[107] فالظواهر في العالم الخارجي ليس لها واقعية في حد ذاتها، بل هي لا تعاش إلا من خلال فائدتها أو خطرها على الإنسان النرجسي. لذلك فان "القطب المضاد للنرجسية هو الموضوعية، أنها الملكة التي نرى بها الناس والأشياء كما هم موضوعيا والتي نتمكن بها، من فصل هذه الصورة الموضوعية، عن صورة رسمتها رغبات الإنسان ومخاوفه"[108] أن فقدان الموضوعية يعد قاسما مشتركا بين جميع أشكال الذهان.

7- الإيمان: "أن ممارسة فن الحب يقتضي ممارسة الإيمان"[109] وهنا يفرق فروم بين الإيمان اللاعقلاني الذي يعني "الإيمان (بشخص أو بفكرة) القائم على خضوع الإنسان للسلطة اللاعقلانية. ومقابل هذا الإيمان العقلاني وهو اقتناع قائم في معايشة الإنسان للفكر أو الشعور. الإيمان العقلاني ليس أساسا إيمانا بشيء بل هو صفة اليقين والصلابة التي في قناعاتنا. الإيمان هو طابع الشخصية المحيط بالشخصية كلها أكثر منه معتقدا خاصا"[110] أن يكون لديك الإيمان بشخص آخر يعني أنك متأكد من ثباتية صفاته الرئيسية ومتأكد من جوهر شخصيته ومن حبه. وهذا لا يعني أن الشخص قد لا يغير آراءه، بل يعني أن دوافعه الرئيسية تظل هي نفسها.

---

[106] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص99

[107] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص 106

[108] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص106

[109] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص 109

[110] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص109

8- الشجاعة: وهي سمة مرتبطة بالإيمان لان "الإيمان يقتضي الشجاعة القدرة على المخاطرة الاستعداد حتى لتقبل الألم وخيبة الأمل"[111]إذ أن يحِب المرء وان يُحَب أمران يحتاجان إلى الشجاعة "الشجاعة للحكم على قيم معينة بأنها ذات جدارة كبرى والقفز وتعليق كل شيء على هذه القيم"[112]

9- النشاط: الحب **نشاط** فإذا أحببت فـ"إنني في حالة دائمة من الاهتمام النشاط بالشخص المحبوب، لكن ليس الاهتمام به أو بها فقط. ذلك إنني سأصبح عاجزا عن ربط نفسي بشكل فعال بالشخص المحبوب إذا كنت كسولا إذا لم أكن في حالة دائمة من الوعي والتيقظ والنشاط"[113]

دراسة تطبيقية على رواية مدام بوفاري

مقدمة:

1- أهمية رواية مدام بوفاري في تاريخ الأدب الواقعي الفرنسي: رواية مدام بوفاري لفلوبير تُعَدّ من أبرز الأعمال التي تناولت موضوع الحب المغترب في سياق اجتماعي معقّد، وتُجسّد فيها شخصية إيما بوفاري مثالًا مأساويًا لتضارب التطلعات الرومانسية مع واقع اجتماعي صارم ومحافظ.

2- تحديد المنهج النقدي المتبع: استخدمنا منهج التحليل النفسي مع المنهج الماركسي والوجودي، كما ظهر عند اريك فروم، فكان لمفهوم الاغتراب وعلاقته بالذات الإنسانية، موقعا أساسيا، لمقاربة الحب والبنية المجتمعية، كما ظهرا في الرواية.

أولًا: الحب كحلم مستحيل – دلالة الاغتراب

1- تحليل شخصية إيما بوفاري:

ظهرت أيما بوصفها كيانًا يبحث عن معنى في عالم يفتقر للدهشة؛ إنها تعيش حالة من التناقض بين طموحاتها الأنثوية وواقعها الزواجي، ومجتمع القرية التي تعيش فيها. شخصية إيما بوفاري كما ظهرت في الرواية ليست سهلة التصنيف ضمن الطابع السادي ولا المازوخي بشكل مباشر، لكن يمكننا تحليل سلوكها من خلال هذين المفهومين لفهم أعمق لآلياتها النفسية والاجتماعية.

[111] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص 113
[112] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص 113
[113] فروم فن الحب، مصدر سابق، ص 115

من حيث الوقائع الروائية: إيما تعيش في عالم من الأحلام الرومانسية، وتبحث عن حب مثالي لا يتحقق. تقبل الإهانة والتجاهل من عشاقها، وتظل متمسكة بهم رغم خيانتهم أو برودهم. وتعاني من خيبة أمل متكررة، لكنها لا تتوقف عن السعي وراء هذا الحب، وكأنها تستمتع بالمعاناة الناتجة عن فشلها في تحقيقه. هذا يشير إلى نزعة مازوخية عاطفية، حيث الألم يصبح جزءًا من تجربتها الرومانسية.

أيضا من حيث وقائع الرواية، تحتقر زوجها شارل بوفاري، وتتعمد إذلاله عاطفيًا، رغم أنه يحبها بإخلاص. وتتلاعب بمن حولها، وتستخدم جمالها وسحرها للحصول على ما تريد، أحيانًا دون اعتبار لمشاعر الآخرين. وفي علاقتها مع رودولف، تحاول أن تفرض عليه صورة الحب المثالي، وتغضب حين لا يحقق توقعاتها، مما يعكس رغبة في السيطرة. هنا نرى نزعة سادية ناعمة، تتجلى في رغبتها في فرض إرادتها على الآخرين، خاصة في العلاقات العاطفية.

أما من حيث الطبع التدميري : الذي يتسم بالرغبة في تحطيم الذات أو المحيط عمدًا، دون هدف بنّاء. فيدمر الإنسان والآخرين بدافع الخيبة أو العجز. فإننا نجد في إيما بوفاري رغم نهايتها المأساوية، أنها لم تكن تنوي "تدميرًا واعيًا" لعلاقاتها بقدر ما فشلت في إدارتها. فهي لا تندفع لتدمير الحبّ بمعناه القاتل، بل تغرق دون وعي في دوامة المأساة. إذن التدمير ليس نتاج رغبة موجهة، بل نتيجة انهيار وضعف؛ فلا تنتمي لهذا النمط، انتماء صريحا.

ومن ناحية الطبع غير المبالي: الذي يعني من يعيش برودة عاطفية ولامبالاة تامة تجاه الذات والآخر. وتكون العلاقات عنده معاملات سطحية لا يتحمّل فيها عاطفة حقيقية. فإننا نجد أن إيما بوفاري شخصية يغمرها الشغف، وتنهمر فيها المشاعر بصورة متقلبة، لكنها لا تفتقد أبدًا للرغبة في الحبّ، حتى وإن كان مؤلمًا. فهي ليست غير مبالية، بل عكس ذلك تمامًا. ونستبعد عنها صفة البرود واللامبالاة.

في المحصلة: إيما تعيش حالة من الازدواجية النفسية، لأنها تعيش صراعًا داخليًا بين رغبتها في الخضوع للحب ورغبتها في السيطرة عليه. هذا التوتر بين السادية والمازوخية يعكس اضطرابًا نفسيًا مركبًا، وليس مجرد ميل أحادي. إذن إيما بوفاري ليست سادية أو مازوخية بشكل صرف، بل هي

شخصية مركبة تحمل عناصر من الاثنين. يمكن وصفها بأنها: (مازوخية رومانسية وسادية اجتماعية، تعيش في صراع دائم بين الخضوع للحلم والسيطرة على الواقع).

2- العلاقة بين قراءة الروايات الرومانسية وتكوين صورة خيالية للحب، من حيث هو استلاب ثقافي:

إيما تعيش حالة من التناقض بين خيالات رومانسية استقتها من الروايات، وتوقعات حالمة للحب، وبين واقعها الزوجي الممل والمتكرر. ولهذا فان إيما لا تعيش الحب بل تعيش فكرتها عن الحب. لقد تأثرت إيما بالروايات الرومانسية التي قرأتها في شبابها، مما خلق لديها صورة مثالية للحب والحياة. بينما المجتمع الريفي لا يشاركها هذه الرؤية، مما يجعلها تعيش في صراع دائم بين الواقع والخيال.

ثانيًا: البنية الاجتماعية والسلطة الاجتماعية

1- إبراز الآليات المجتمعية التي تسهم في تهميش المرأة العاطفية: الزواج، الدين، الأعراف:

المجتمع الريفي الذي تعيش فيه إيما يتميّز بالرتابة والمحافظة، ولا يُعطي مجالًا للطموح الأنثوي أو للتحرر العاطفي. فالبنية الاجتماعية تُجبر المرأة على الالتزام بدور الزوجة والأم دون الاعتراف بتطلعاتها الفردية أو رغباتها الروحية. إن تحليل العلاقة بين إيما بوفاري والمجتمع المحيط بها، يكشف الكثير عن التوترات بين الفرد والطموحات الشخصية من جهة، والمعايير الاجتماعية والثقافية من جهة أخرى. فهي شخصية معقدة تعكس صراعًا داخليًا بين الرغبة في حياة مليئة بالشغف والرومانسية، وبين واقع اجتماعي رتيب ومقيد. فإيما تشعر بالغربة في بيئتها الريفية، حيث تسود القيم التقليدية والروتين. والمجتمع المحيط بها، وخاصة زوجها شارل بوفاري، يمثل نموذجًا للبساطة والرضا، وهو ما يتناقض مع تطلعاتها الحالمة.

2- التمرد على الأدوار التقليدية:

إيما ترفض دور "الزوجة الصالحة" الذي يفرضه المجتمع، وتسعى وراء تجارب عاطفية وهروب من الواقع. هذا التمرد يُنظر إليه من قبل المجتمع كفساد أخلاقي، مما يزيد من عزلتها.

3- الضغط الاقتصادي والاجتماعي:

سعيها وراء حياة مترفة جعلها تغرق في الديون، وهو انعكاس لفشلها في التكيف مع الواقع الاقتصادي لمجتمعها. والمجتمع لا يرحمها، بل يُدينها ويُقصيها، مما يؤدي إلى نهايتها المأساوية.

4- إسقاط الحب داخل منظومة طبقية تُفرغه من جوهره الإنساني ويجعله أداة لتأكيد الهيمنة:

الحب في الرواية يبدو دائمًا مُعاقًا، مشوّهًا، أو محكومًا بالمصلحة والنفاق الاجتماعي، ما يجعله مغتربًا عن ذاته، وعن جوهره العاطفي والإنساني. هذا القمع المجتمعي يجعل الحب بالنسبة لإيما أداة هروب، لا وسيلة تواصل أو بناء، فيتحوّل إلى سلسلة من الخيبات.

ثالثًا: مقاربة فلسفية – الحب كمجال للاغتراب الوجودي

1- دراسة حالة إيما من خلال مفهوم "الاغتراب" عند فروم.

A. اغتراب عن الذات:

إيما تخسر وعيها بذاتها الحقيقية بسبب هروبها المستمر وراء خيال الحب المثالي. وتنفصل عن حاجاتها الفعلية فتجد نفسها غارقة في القلق والإحباط، بلا معرفة واضحة بدوافعها ورغباتها الحقيقية.

B. اغتراب عن الآخر:

تنظر إلى عشاقها (رودولف، ليون) كحاملين لأوهامها الخاصة، لا كأفراد مستقلين. ولا تحترم خصوصيتهم وذواتهم، بل تسقط عليهم خيالاتها، فتفقد فرصة بناء علاقة حقيقية مبنية على التفاهم.

C. اغتراب عن الحب:

الحب عند إيما يختزل في حميميات رومانسية وانفعالات لحظية، لا في علاقة ناضجة تقوم على الاحترام والرعاية والمعرفة والمسؤولية. فتتحول تجربة الحب عندها إلى هروب انفعالي من الواقع، فيغيب جوهر الحب كفعل واعٍ وصادق.

D. اغتراب عن نواتج الحب:

تدفع إيما ثمن أوهامها بالاقتراض والإفلاس والعار، بدلًا من النمو العاطفي أو التعلم من التجربة. وتنتهي علاقاتها دائمًا بكسْر الأمل والشعور بالفراغ، ما يؤكد فشلها في جني ثمار الحب الحقيقية.

مقارنة

تجربة إيما بوفاري تمثل اغترابًا مزدوجًا: هي تعيش في أوهام الحب فتغرب عن ذاتها وعن الآخرين، ويؤدي ذلك إلى ندرة الحب الحقيقية وفشل في جني نتائجه. يمكننا اعتبار أن الاغتراب

عن الآخر والاغتراب عن الحب هما الجوهران في مأساة إيما، بينما ينشأ عنهما اغتراب داخلي عن الذات وتدمير لثمار الحب.

2- نوع الحب عند إيما، حسب سياق البحث أعلاه.

أي نوع من أنواع الحب التي استعرضناها في البحث ينطبق على إيما؟

1. مظاهر الحب الأعمى في إيما بوفاري

A. إسقاط الرومانسية على رودولف: إيما لا ترى رودولف كفرد بشريّ له عيوبه، بل كوسيط لتحقيق حلمها الفولكلوري عن فارس الأحلام.

B. انصهار كامل بالخيال: حيث تتجاهل تحذيرات عقلها أو واقعها المادي، وتغوص في علاقةٍ مستحيلة، مُستسلمةً لنيّة هروبها من الرتابة.

C. غياب المعرفة والمسؤولية: إيما لا تسأل عن دوافع رودولف أو ظروفه، وفوق هذا تغسل ضميرها من أي التزام أخلاقي أو اجتماعي تجاه زوجها.

2. مظاهر الحب العاطفي في إيما بوفاري

A. انفجار الشغف اللحظي: حيث تشتعل مشاعرها تجاه ليون أو رودولف بسرعة، ثم تخفت فجأة عند أول برودٍ أو خيبة.

B. تركيز على الشعور أكثر من العلاقة حيث تبحث إيما عن لحظات الرومانسية: مثلا: نظرة، رسائل، لقاءات، دون بناء أساس للتفاهم أو المشاركة طويلة الأمد.

C. التقلب السريع: حيث تنتقل إيما من هوسٍ لا يقاوم إلى مللٍ عميق، فتغرق في اكتئابٍ ثمّ تنتقل إلى حب جديد بسرعة.

تتأرجح إيما بوفاري بين الحب الأعمى والحب العاطفي، إذ تمثّل إيما كيف يؤدي الحب الأعمى إلى إسقاط الخيال على الآخر، ومن ثمّ الانكسار عند تصادم الوهم مع الواقع، بينما يبيّن الحب العاطفي هشاشة الشغف اللحظي وسرعة إطفائه. لقد كان الحب في حالة إيما فعل رمزي للهروب من الواقع، الذي أدى بدوره إلى مزيد من العزلة الروحية. كما كان رغبة نحو تحقيق الذات خارج محددات الدور الاجتماعي.

بناء على ما سبق نؤكد ما يلي:

1- إيما ليست مجرد امرأة خائنة أو حالمة، بل كيان مغترب يصطدم بجدار بنية اجتماعية تقمع النمو الذاتي.

2- لم يكن الحب في الرواية مفقودًا فحسب، بل مسلوب المعنى بفعل المنظومة الاجتماعية الطبقية المتخلفة.

3- تمثل رواية **مدام بوفاري** دعوة لقراءة الحب كإنتاج اجتماعي، وليس مجرد تجربة فردية.

نتائج البحث

1- الحب الأصيل يتطلب نضجًا داخليًا وقدرة على العطاء الحر دون انتظار المقابل. الحب المغترب يظهر حين تكون العلاقة محاولة للهرب من الشعور بالفراغ أو الخوف من الوحدة.

2- في المجتمع الرأسمالي، يُقاس الحب بمستوى المنفعة، ويُختزل إلى صفات سطحية تؤدي إلى تشيؤ العاطفة. هذا التشيؤ يفقد العلاقة عمقها الإنساني، مما يجعلها شكلية ومغتربة عن جوهر الارتباط الحقيقي.

3- الحب الأصيل وفق فروم هو تعبير عن الحرية الداخلية والمسؤولية الذاتية. الحب المغترب يظهر حين يُمارس الحب كقيد أو تبعية عاطفية بدلًا من كونه اختيارًا حرًا ومسؤولًا.

4- في الحب الأصيل، يُنظر إلى الآخر كذات حرة تستحق الاحترام والرعاية. أما في الحب المغترب، فيُنظر إلى الآخر كوسيلة لتلبية الحاجات النفسية والاجتماعية، مما يخلق علاقة غير متكافئة.

5- الحب الأصيل هو فعل يتطلب انفتاحًا وإنكارًا للذات في بعض الحالات. أما الحب المغترب فيتسم بالرغبة في السيطرة وامتلاك الآخر، مما يؤدي إلى علاقات غير متوازنة.

خاتمة:

وبناء على ما سبق، نؤكد على تحقق الفرضيات التي انطلق منها البحث، وأننا وجدنا نوعين من الدلائل: تحليلية وتجريبية، دليل تحليل من خلال قراءة النصوص الفلسفية ومقارنتها ببعضها بعضا، ودليل تجريبي من خلال تطبيق البحث على رواية **مدام بوفاري** لفلوبير، حيث تبين بوضوح أن الحب علاقة إنسانية فردية، لكنها تخضع للشرط التاريخي، وأنها تخضع لنوعين من الشروط التي تؤثر عليها، وهي شروط تتعلق بالإنسان الفرد ذاته وشروط تتعلق بالظرف أو الشرط التاريخي المحيط، من حيث الشروط الداخلية: يحتاج الإنسان المحب السوي أن يكون على قدر من النضج الداخلي والقدرة على العطاء، وأن يكون متحرر من العقد النفسية والأفكار التسلطية الداخلية، وأن ينظر إلى الآخر بعين الاحترام والمسؤولية، وأنه شخص يستحق الرعاية والاهتمام، فالحب الأصيل في حقيقته انفتاح على الآخر، أما من حيث الشرط التاريخي: فإن تشيؤ الإنسان يحرف الحب، بما هو علاقة إنسانية، عن جادة السواء، ويجعله علاقة مغتربة، غير متكافئة، يظهر بكونه هروب من الشعور بالفراغ، أو تبعية للآخر، أو بالعكس النظر إلى الآخر على انه تابع للأنا وانه وسيلة لتلبية الحاجات الخاصة بالانا.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم ، زكريا، **مشكلة الحب**، القاهرة، مكتبة مصر، 1966 .
2- إبراهيم ، زكريا، **مشكلة الحياة** ، القاهرة، مكتبة مصر، 1971.
3- أفلاطون، **المأدبة** ، تعريب وليم الميري، (لا م)، مطبعة الاعتماد بمصر، 1954.
4- العظم، صادق جلال، **في الحب والحب العذري**، ط 4، دمشق، دار الجرمق، (لا ت).
5- حماد، حسن، **الإنسان المغترب عند اريك فروم**، القاهرة ، مكتبة دار الحكمة، 2005.
6- شاخت، ريتشارد، **الاغتراب**، ترجمة كامل يوسف الحسين، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.
7- فروم، أريك ، **فن الحب** ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، دار العودة، 1972.
8- فروم، اريك ، **الإنسان من اجل نفسه**، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دمشق، وزارة الثقافة، 2007.

9- فروم ، أريك، **الإنسان بين الجوهر والمظهر** ، ترجمة سعد ظهران ، الكويت، عالم المعرفة ، عدد 140، 1989.

10- فروم، اريك، **الخوف من الحرية**، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.

11- فروم، اريك، **تشريح التدميرية البشرية**، ج 2، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق، وزارة الثقافة، 2006.

12- فروم ، اريك، **مفهوم الإنسان عند ماركس**، ترجمة محمد سيد رصاص ، دمشق ، دار الحصاد، 1998.

13- فروم، اربك، **المجتمع السوي**، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009.

14- فلوبير، جوستاف، **مدام بوفاري**، ترجمة محمد مندور، ط1، (د م)، دار شرقيات للنشر والتوزيع، 1993.

15-طه، فرج عبد القادر، وآخرون، **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، ص189.